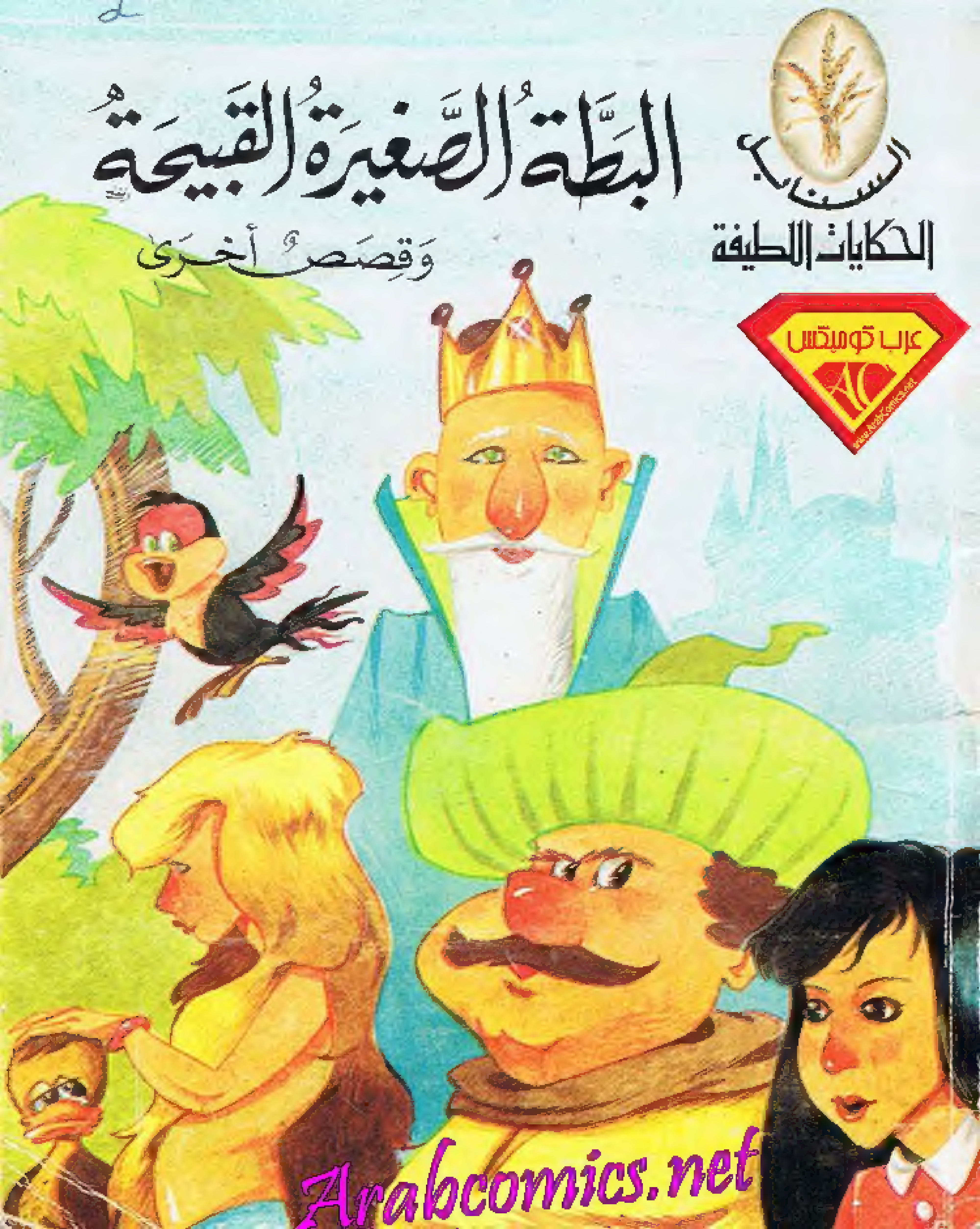

السنابل
البطة الصغيرة القبيحة
وقصص أخرى
الحكايات اللطيفة
عرب كوميكس
Arabcomics.net

الحكايات اللطيفة

البطة الصغيرة القبيحة
وقصص أخرى



تأليف : هانز كريستيان أندرسن

إعداد : شوقي رياض الشنورمي

رسوم : علاء الدين سعد

مكتبة لبنان

بيروت

١٠ أ شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي - الجيزة

الطبعة الثانية
رقم الإيداع : ٢٣٠٥ / ٨٨
الترقيم الدولي : ISBN ٩٧٧-١٤٤٥-٦٣-٤

طبع بمطابع دار المعارف - القاهرة

البَطَّةُ الصَّغيرةُ القَبيحةُ

وَقَعَتْ أَحْداثُ هٰذِهِ القِصَّةِ في مِنْطَقَةٍ رِيفِيَّةٍ مَناظِرُها جَميلَةٌ ، حَيْثُ تَمْتَدُّ غابَةٌ فَسيحَةٌ بِمُحاذاةِ الحُقولِ . يَتَخَلَّلُ الغابَةَ عَدَدٌ مِنَ الأَنْهارِ الصَّغيرَةِ ، وَتَنْمو بِجِوارِ الأَنْهارِ حَشائِشُ بالِغَةُ الطُّولِ . وَلٰكِنْ ، كانَ المَكانُ مُوحِشًا مُنْعَزِلًا ، لا يَقْصِدُهُ أَحَدٌ مِنَ النّاسِ . وَكانَ يَقومُ وَسَطَ الغابَةِ كوخٌ قَديمٌ .

ذَهَبَتْ بَطَّةٌ إِلى الغابَةِ ذاتَ يَوْمٍ ، لِتَحْضُنَ بَيْضَها . وَظَلَّتْ تَحْضُنُهُ وَقْتًا طَويلًا حَتّى سَئِمَتْ ، وَبَدَأَتْ تَشْعُرُ بِالضّيقِ . وَكانَتْ أَخَواتُها البَطّاتُ تَسْبَحُ بِمَرَحٍ في مِياهِ الأَنْهارِ القَريبَةِ ، وَتَرْفُضُ البَقاءَ إِلى جِوارِها ، وَهِيَ تَحْضُنُ البَيْضَ بَيْنَ الحَشائِشِ الطَّويلَةِ .

أَخيرًا انْفَلَقَ البَيْضُ ، وَخَرَجَ مِنْهُ عَدَدٌ مِنَ البَطِّ الصَّغيرِ . وَصاحَ البَطُّ لَحْظَةَ أَنْ أَطَلَّ بِرُؤوسِهِ الصَّغيرَةِ خارِجَ البَيْضِ : « تْشِيك ... تْشِيك . »

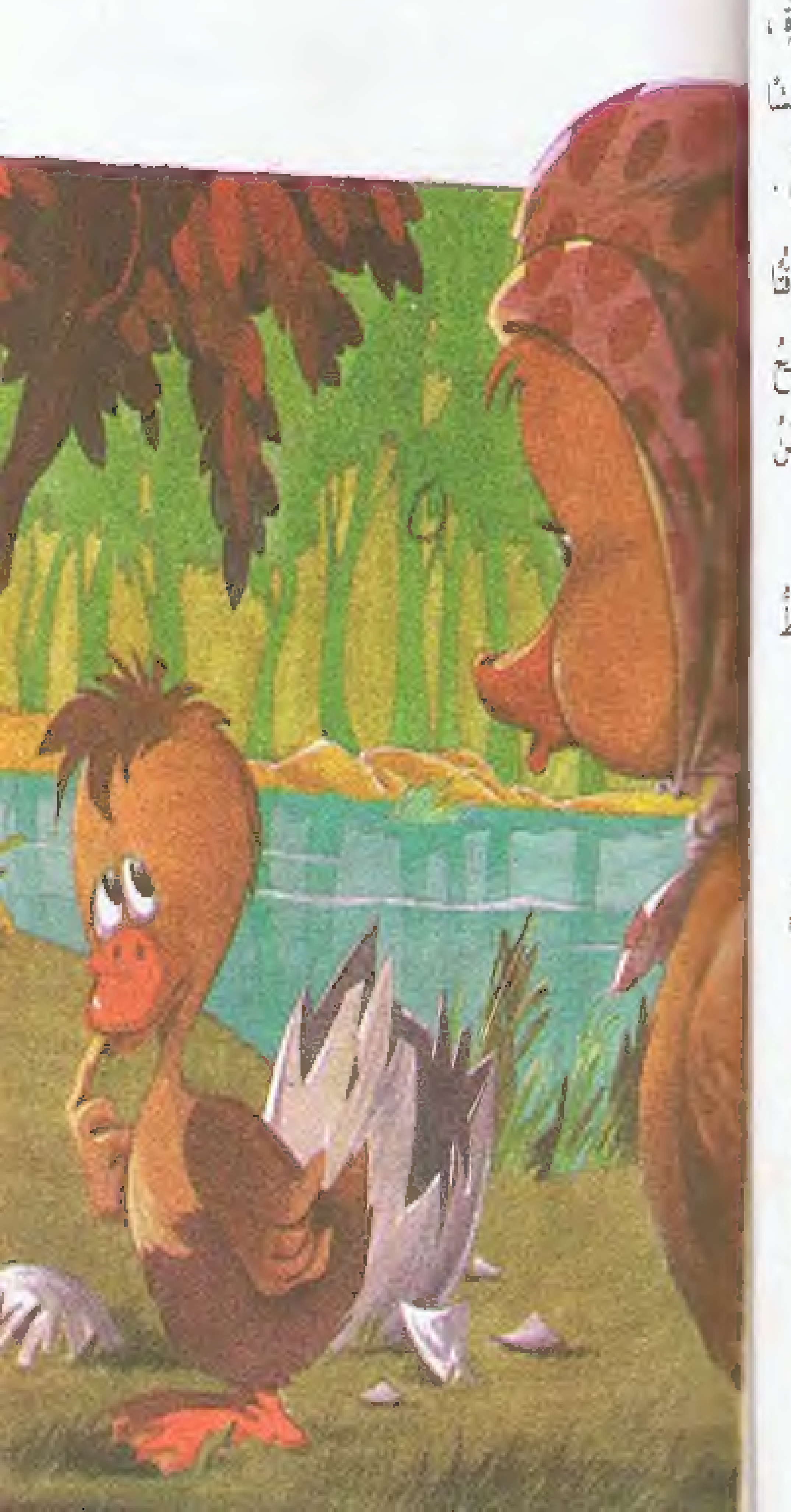
وَرَدَّتِ الأُمُّ عَلى صِغارِها بِصَوْتٍ أَجَشَّ : « كُواك ... كُواك . »

عِنْدَئِذٍ نَهَضَ البَطُّ الصَّغيرُ ، وَنَظَرَ إِلى الحَشائِشِ الطَّويلَةِ مِنْ حَوْلِهِ ، ثُمَّ قالَ : « لَكَمْ يَبْدو كُلُّ شَيْءٍ هُنا كَبيرًا ضَخْمًا ! »

قامَتِ البَطَّةُ الأُمُّ عَنْ بَيْضَةٍ كَبيرَةٍ قائِلَةً : « ما زالَتْ هُنا بَطَّةٌ لَمْ تَخْرُجْ حَتّى الآنَ ، فَإِنَّ أَضْخَمَ بَيْضَةٍ لَمْ تَنْفَلِقْ بَعْدُ . تُرى إِلى مَتى سَيَسْتَمِرُّ هٰذا ؟ أَنا لا أُريدُ أَنْ أَحْضُنَ البَيْضَةَ طَوالَ النَّهارِ ! » غَيْرَ أَنَّها عادَتْ وَحَضَنَتْها ثانِيَةً .

جاءَتْ بَطَّةٌ أُمٌّ أُخْرى لِزِيارَتِها ، وَسَأَلَتْها : « كَيْفَ حالُكِ ؟ »

أَجابَتِ البَطَّةُ الأُمُّ : « لَقَدِ اضْطَرَّتْني هٰذِهِ البَيْضَةُ الضَّخْمَةُ إِلى حَضْنِها وَقْتًا طَويلًا ، غَيْرَ أَنَّها لَمْ تَنْفَلِقْ حَتّى الآنَ ! وَلٰكِنِ انْظُري بَطِّيَ الصَّغيرَ الجَميلَ ، إِنَّهُ أَجْمَلُ وَأَرْشَقُ بَطٍّ صَغيرٍ رَأَيْتُهُ في حَياتي . »



قالَتِ البَطَّةُ الأُخرى : « أُريدُ أنْ أرى البَيْضَةَ الّتي لَمْ تَنْفلِقْ بَعْدُ . » وَنَظَرَتْ إلى تِلْكَ البَيْضةِ ثُمَّ قالَتْ لِلأُمِّ : « إنَّها بَيْضةٌ في غايةِ الضَّخامةِ حقًّا ، وَلٰكِنْ يَجِبُ عَلَيْكِ أنْ تَتْرُكيها لِتُعَلِّمي صِغارَكِ النُّزولَ إلى النَّهرِ وَالعَوْمَ في مِياهِهِ . »

أَجابَتِ البَطَّةُ الأُمُّ : « كَلّا ! سَأَحْضُنُها فَتْرةً أُخرى . »

وَأَخيرًا انْفَلَقَتِ البَيْضَةُ الكَبيرةُ ، وَتَدَحْرَجَ مِنْها إلى الخارِجِ فَرْخُ بَطٍّ ضَخْمٌ ، وَصاحَ : « تْشيك ... تْشيك . »

وَلٰكِنْ يالَلْعَجَبِ ! إنَّهُ فَرْخُ بَطٍّ قَبيحُ الشَّكْلِ ، عَلى الرَّغْمِ مِنْ كَوْنِهِ وَليدًا . وَتَفَرَّسَتِ الأُمُّ بُرْهةً ، ثُمَّ قالَتْ : « إنَّهُ فَرْخُ بَطٍّ ذَكَرٌ بالِغُ الضَّخامةِ ، وَهُوَ لا يُشْبِهُ أَيًّا مِنْ إخْوَتِهِ أَوْ أَخَواتِهِ . غَيْرَ أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَسْبَحَ أَيْضًا مَعَهُمْ في الماءِ ، وَسَوْفَ أَضَعُهُ مَعَهُمْ في النَّهرِ . »

في اليَوْمِ التّالي جَمَعَتِ الأُمُّ صِغارَها مِنَ البَطِّ وَسارَتْ بِهِمْ إلى النَّهرِ . وَما إنْ نَزَلَتِ الأُمُّ إلى الماءِ حَتّى صاحَتْ قائِلةً : « كُواك ... كُواك . » وَقَفَزَ نَحْوَها البَطُّ الصَّغيرُ ، واحِدةً تِلْوَ الأُخرى . وَغاصَ البَطُّ لَحَظاتٍ تَحْتَ الماءِ وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ ظَهَرَ عائِمًا عَلى سَطْحِهِ ، وَفي الوَسَطِ كانَ فَرْخُ البَطِّ القَبيحُ ، وَنَظَرَتِ الأُمُّ إلَيْهِ ثُمَّ قالَتْ :

« أُنْظُروا كَيْفَ يَسْبَحُ صَغيري في الماءِ . لَكَمْ يَبْدو جَميلًا رائِعًا وَهُوَ يَسْبَحُ ! كُواك ، كُواك ! تَعالَوْا إلَيَّ يا صِغاري ! لِأُرِيَكُمْ أَشْياءَ كَثيرةً مُدْهِشةً ، وَسَوْفَ آخُذُكُمْ مَعي لِرُؤْيةِ بَطٍّ آخَرَ يَعيشُ في مَكانٍ بَديعٍ . وَلٰكِنِ ابْقَوْا بِجانِبي دائِمًا حَتّى لا يَدوسَكُمْ أَحَدٌ بِرِجْلِهِ . وَاحْذَروا القِطَطَ الهائِمةَ في الطَّريقِ . »

اِصْطَحَبَتِ الأُمُّ صِغارَها إلى الحَديقةِ لِرُؤْيةِ البَطِّ الآخَرِ . وَما إنْ وَصَلوا إلى هُناكَ ، حَتّى سَمِعوا جَلَبةً عالِيةً ، بِسَبَبِ شِجارِ بَطِّ الحَديقةِ حَوْلَ الطَّعامِ .

وَبَعْدَ حينٍ قالَتِ البَطَّةُ الأُمُّ لِصِغارِها : « إذْهَبوا إلى تِلْكَ البَطَّةِ العَجوزِ الّتي تَرَوْنَها هُناكَ وَتَوَدَّدوا إلَيْها ؛ إذْ إنَّها أَعْظَمُ بَطَّةٍ في هٰذِهِ الحَديقةِ – وَلٰكِنِ ابْقَوْا دائِمًا عَلى مَقْرُبةٍ مِنّي . »

وَفَعَلَ البَطُّ الصَّغيرُ ما أَمَرَتْ بِهِ الأُمُّ . وَلٰكِنَّ البَطَّ الّذي في الحَديقةِ نَظَرَ إلى البَطِّ الصَّغيرِ وَقالَ : « ها قَدْ أَتى إلَيْنا مَزيدٌ مِنَ البَطِّ ، فَأَصْبَحَ عَدَدُنا بِذٰلِكَ كَبيرًا جِدًّا ، وَسَوْفَ نَحْتاجُ إلى طَعامٍ كَثيرٍ . ثُمَّ هٰذا الفَرْخُ القَبيحُ الشَّكْلِ ، ما الّذي أَتى بِهِ إلى هٰذا المَكانِ ؟ يَجِبُ أَنْ نَطْرُدَهُ بَعيدًا عَنّا . »

وَجَرَتْ نَحْوَهُ إحْدى البَطّاتِ ، وَشَرَعَتْ في عَضِّهِ . فَصاحَتِ البَطَّةُ الأُمُّ :

« لا تَلْمِسيهِ . إنَّهُ لَمْ يُلْحِقْ بِكِ أَذًى . »

قالَتْ بَطَّةٌ أُخرى : « إنَّهُ فَرْخٌ قَبيحُ الشَّكْلِ ، وَلِهٰذا فَهُوَ يَسْتَحِقُّ العَضَّ . »

وَأَجابَتِ الأُمُّ : « إنَّهُ لَيْسَ جَميلًا ، وَلٰكِنَّهُ طَيِّبٌ لِلْغايةِ . كَما إنَّهُ ماهِرٌ جِدًّا في السِّباحةِ . أَعْتَقِدُ أَنَّهُ سَيَنْمو نُمُوًّا طَبيعيًّا مِثْلَ إخْوَتِهِ بِمُضِيِّ الوَقْتِ . لَقَدْ مَكَثَ داخِلَ بَيْضَتِهِ زَمَنًا أَطْوَلَ مِنَ المُعْتادِ . وَهٰذا هُوَ السَّبَبُ في أَنَّهُ يَبْدو مُخْتَلِفًا عَنْهُمْ في الوَقْتِ الحاضِرِ . »

وَلٰكِنَّ كُلَّ البَطِّ الّذي في الحَديقةِ لَمْ يَلْبَثْ أَنِ انْهالَ نَقْرًا عَلى فَرْخِ البَطِّ المِسْكينِ ، وَهُمْ يَصيحونَ قائِلينَ : « إنَّهُ فَرْخُ بَطٍّ قَبيحُ الشَّكْلِ جِدًّا . »

واضْطَرَبَ فَرْخُ البَطِّ، ولَمْ يَدْرِ ماذا يَفْعَلُ. وأَحَسَّ بِتَعاسةٍ شَديدةٍ، لِكَوْنِهِ قَبيحَ الشَّكْلِ. ومَعَ انْتِهاءِ اليَوْمِ كانَتْ تَعاسةُ فَرْخِ البَطِّ القَبيحِ قَدِ ازْدادَتْ. فقَدْ أَحْجَمَ البَطُّ الآخَرُ عَنِ الاقْتِرابِ مِنْهُ أَوِ التَّحَدُّثِ إِلَيْهِ، كَما أَخَذَتْ أَخَواتُهُ يَصِحْنَ في وَجْهِهِ قائِلاتٍ: «لَيْتَ القِطَّةَ تَفْتَرِسُكَ، حَتَّى لا تَقَعَ عُيونُنا على شَكْلِكَ القَبيحِ!» وحَتَّى البَطَّةُ الأُمُّ نَهَرَتْهُ ذاتَ مَرَّةٍ صائِحَةً: «اغْرُبِ الآنَ عَنْ وَجْهي، فأَنا لا أُطيقُ النَّظَرَ إِلَيْكَ!»

وهٰكَذا اضْطُرَّ فَرْخُ البَطِّ التَّعِسُ إلى الهَرَبِ خارِجَ الحَديقةِ. وفَزِعَتْ لِرُؤْيَتِهِ الطُّيورُ الصَّغيرةُ الَّتي تَعيشُ في الأَشْجارِ. وحَزِنَ فَرْخُ البَطِّ لِذٰلِكَ حُزْنًا شَديدًا، وقالَ لِنَفْسِهِ: «لا أَحَدَ يُحِبُّني على الإِطْلاقِ، لِأَنَّني دَميمُ الخِلْقةِ!» ثُمَّ أَغْمَضَ عَيْنَيْهِ، وانْطَلَقَ يَجْري، حَتَّى وَصَلَ في النِّهايةِ إلى حَقْلٍ كَبيرٍ يَعيشُ فيهِ بَطٌّ بَرِّيٌّ. وقَضَى اللَّيْلَ بِطولِهِ نائِمًا هُناكَ.

وفي الصَّباحِ، اسْتَيْقَظَ بَطُّ الحَقْلِ، وما إِنْ وَقَعَ بَصَرُهُ على فَرْخِ البَطِّ القَبيحِ حَتَّى بادَرَهُ قائِلًا: «مَنْ أَنْتَ؟»

وحاوَلَ فَرْخُ البَطِّ القَبيحُ أَنْ يَكونَ لَطيفًا لِلْغايةِ مَعَ بَطِّ الحَقْلِ البَرِّيِّ. وبَعْدَ بُرْهةٍ قَصيرةٍ، قالَ البَطُّ البَرِّيُّ لِفَرْخِ البَطِّ الغَريبِ: «أَنْتَ قَبيحُ الشَّكْلِ جِدًّا. ومَعَ ذٰلِكَ فَسَوْفَ نَسْمَحُ لَكَ بِالإِقامةِ بَيْنَنا بِشَرْطِ أَلَّا تَتَزَوَّجَ بِواحِدةٍ مِنْ بَناتِنا.»

يا لَلْفَرْخِ المِسْكينِ! إِنَّهُ لَمْ يُفَكِّرْ أَبَدًا في الزَّواجِ. كُلُّ ما كانَ يَتوقُ إِلَيْهِ هُوَ أَنْ يَجْلِسَ بَيْنَ الحَشائِشِ الطَّويلةِ، ويَمُدَّ مِنْقارَهُ لِيَشْرَبَ قَليلًا مِنَ الماءِ!

قَضَى فَرْخُ البَطِّ يَوْمَيْنِ في الحَقْلِ، وفي اليَوْمِ الثَّالِثِ جاءَتْ إِلَيْهِ وَزَّتانِ

بَرِّيَّتانِ. قالَتا: «إِنَّكَ دَميمُ الخِلْقةِ، ولٰكِنَّنا نَميلُ إلى صُحْبَتِكَ. هَلَّا أَتَيْتَ مَعَنا فتَكونَ طائِرًا بَرِّيًّا مِثْلَنا؟»

وفي تِلْكَ اللَّحْظةِ، دَوَّى صَوْتُ طَلْقةٍ نارِيَّةٍ، وسَقَطَتِ الوَزَّتانِ البَرِّيَّتانِ مَيِّتَتَيْنِ على الحَشائِشِ الطَّويلةِ. ثُمَّ انْطَلَقَتْ طَلْقةٌ أُخْرَى، هَبَّ على أَثَرِها سِرْبُ الإِوَزِّ مِنْ بَيْنِ الحَشائِشِ طائِرًا في الفَضاءِ.

وتَوالَتِ الطَّلَقاتُ: طاخْ! طاخْ! كانَ هُناكَ صَيَّادونَ كَثيرونَ يَرْفَعونَ البَنادِقَ، ويُطْلِقونَ الطَّلَقاتِ على الإِوَزِّ مِنْ جِهاتٍ مُخْتَلِفةٍ. كانوا يُحيطونَ بِفَرْخِ البَطِّ القَبيحِ مِنْ كُلِّ جانِبٍ، وكانَ بَعْضُهُمْ جالِسًا فَوْقَ الأَشْجارِ، على حِينِ كانَتْ كِلابُهُمُ الضَّخْمةُ تَعْدو بَيْنَ الحَشائِشِ الطَّويلةِ لِجَلْبِ الصَّيْدِ المُتَساقِطِ لَهُمْ.



فَزِعَ فَرْخُ البَطِّ وارْتاعَ لِتِلْكَ الأَحْداثِ الفَظيعةِ الَّتي كانَ يَشْهَدُها لِأَوَّلِ مَرَّةٍ. وأَرادَ المِسْكينُ أَنْ يُخْفِيَ رَأْسَهُ في الحَشائِشِ حَتَّى لا يَرَى شَيْئًا مِمَّا

يدور حوله ، ولكن كلبًا ضخمًا أتى ووقف بالقرب منه . وما إن رآه الكلب حتى فتح فمه الكبير ، ولكنه لم يلبث أن تحول بعيدًا ، بعد ما ألقى عليه نظرة ثانية .

هنأ فرخ البط نفسه قائلا : « من حسن حظي أنني قبيح الشكل ، فقد حال قبحي هذا دون أن يلتهمني الكلب . »

وجلس فرخ البط ساكنًا في مكانه طوال اليوم ، على حين كان دوي الطلقات من حوله يصم الآذان . وظل في خوف وهلع ، حتى بعد أن هبط الليل . وبقي على تلك الحال شطرًا طويلًا من الليل ، ثم تجرأ أخيرًا على النهوض من مكانه ، ولم يلبث أن انطلق بعيدًا بأقصى سرعة ممكنة .

وصل فرخ البط أخيرًا إلى كوخ صغير ، ودخله من بابه المفتوح . وكانت تعيش في ذلك الكوخ امرأة عجوز ، ويرافقها قطة ودجاجة . كانت العجوز تدلل القطة وتناديها قائلة : « يا بنيتي العزيزة » . كما كانت تحب الدجاجة مثلما تحب ابنة لها تمامًا – فقد كانت الدجاجة تزودها ببيض طازج كل صباح .

عندما رأت القطة والدجاجة فرخ البط داخل الحجرة أحدثتا جلبة عالية . فسألت العجوز وهي تدير عينيها في جميع أنحاء الغرفة : « ما الذي حدث ؟ »

ولم تلبث عيناها الضعيفتان أن وقعتا على فرخ البط . ولكنها تخيلته – لضعف بصرها – بطة كبيرة سمينة قد ضلت طريقها ودخلت الكوخ . ابتهجت المرأة بقدومها ، وقالت لنفسها : « سوف أحصل من الآن على بيض كبير من هذه البطة . إن هذا من حسن حظي ! »

وهكذا جلست المرأة العجوز ، وإلى جوارها القطة والدجاجة ، في انتظار أن يبيض فرخ البط ، ولكن طال انتظارها دون فائدة .

ولم تلبث القطة والدجاجة أن تشاجرتا مع فرخ البط ، فقد سألته الدجاجة : « أليس في مقدورك أن تضع بيضًا للعجوز كما أفعل أنا ؟ »

أجاب فرخ البط القبيح الذي كان ذكرًا : « لا ، فأنا لا أبيض . »

فقالت الدجاجة : « إذًا فلا تتحدث معنا بعد الآن . »

سألت القطة فرخ البط : « هل تستطيع أن تحدث أصواتًا ناعمة كالتي أحدثها عندما أكون مسرورة ؟ » وأخذت القطة تخرخر في صوت خفيض .

وأجاب فرخ البط بالنفي .

قالت له القطة : « إذًا فعليك بالصمت التام عندما نشرع نحن في الكلام . »

ومنذ ذلك الحين أخذ فرخ البط القبيح يجلس في الحجرة بمفرده ، وشعر بحزن شديد . وبدأ يفكر في أصدقائه وفي الشمس الدافئة ، وتاقت نفسه إلى السباحة في النهر البعيد ، فذهب إلى الدجاجة وأخبرها بذلك .

قالت له الدجاجة : « أمريض أنت أم ماذا ؟ أراك تجلس بلا عمل طوال النهار وتفكر في أشياء غريبة ! لو أنك اهتممت بأن تضع لنا بيضًا ، لنسيت كل ما يدور في رأسك من هذه الأفكار . »

أجاب فرخ البط القبيح : « ولكن السباحة في النهر شيء رائع . لكم هو

لطيفٌ ومُمتِعٌ أنْ يسيلَ ماءُ النّهرِ فوقَ رأسِكِ ! أنتِ لم تُجرّبي ذلكَ أبدًا ! »

ردّتِ الدّجاجةُ : « لقد أيقنتُ الآنَ أنّكَ مريضٌ حقًّا . لنذهبْ إلى القِطّةِ ونسألْها الرّأيَ في هٰذا الشّأنِ . سَلِ القطّةَ هل تُحبُّ أنْ يسيلَ ماءٌ فوقَ رأسِها ؟ ثمّ سَلِ المرأةَ العجوزَ ، لا يعرفُ أحدٌ في العالَمِ أكثرَ ممّا تعرفُ هي . أتظنُّ أنّها تهوى النّزولَ إلى النّهرِ ؟ »

شرَدَ فرخُ البطّ بفكرِهِ بعيدًا ، ثمّ قالَ بصوتٍ خافتٍ : « لو تعرفانِ كمْ هو ممتعٌ ولطيفٌ ! »

فردّدتِ الدّجاجةُ ساخرةً : « لو تعرفُ كمْ هو ممتعٌ ولطيفٌ ! أتظنُّ أنّكَ أكثرُ معرفةً منَ القطّةِ ومنَ المرأةِ العجوزِ ؟ كانَ يجبُ عليكَ ، بدلًا من ذلكَ ، أنْ تقدّمَ لنا الشّكرَ على حُسنِ ضيافتِنا لكَ ، وعلى أنّنا قد سمحْنا لكَ بالمعيشةِ معَنا في هٰذا الكوخِ الجميلِ . اذهبْ وتعلّمْ أوّلًا كيفَ تبيضُ كما أبيضُ ، وكيفَ تُخرخِرُ كما تُخرخِرُ القطّةُ . »

أجابَ فرخُ البطّ القبيحُ في حزنٍ شديدٍ : « لا ، بل أريدُ أنْ أعودَ ثانيةً إلى الغابةِ والحقولِ . »

عندئذٍ صاحتِ الدّجاجةُ غاضبةً : « ارحلْ إذًا من هٰذا المكانِ في الحالِ . »

وهٰكذا تركَ فرخُ البطّ كوخَ المرأةِ العجوزِ ، وسارَ إلى النّهرِ ، وقفزَ إلى الماءِ ، ولٰكنّ أحدًا منَ البطّ لم يتحدّثْ إليهِ ، لأنّهُ كانَ قبيحَ الشّكلِ .

وسرعانَ ما مرّتِ الأيّامُ ، وأتى الشّتاءُ القارسُ بثلجِهِ وجليدِهِ . وقاسى فرخُ البطّ المسكينُ منَ البردِ .



ذاتَ مساءٍ ، والشّمسُ مائلةٌ للغروبِ ، رأى فرخُ البطّ طيورًا جميلةً كبيرةَ الحجمِ ، لم يرَ أبدعَ ولا أروعَ منها من قبلُ . كانتِ الطّيورُ فائقةَ الحُسنِ ، ناصعةَ البياضِ ، وكانتْ من نوعٍ يُسمّى بالتّمّ أوِ الإوزّ العراقيّ . وحلّقتْ تلكَ الطّيورُ البديعةُ عاليًا في السّماءِ لتبدأَ هجرتَها عبرَ البحارِ منَ البلادِ الباردةِ إلى مناطقَ أكثرَ دفئًا . وتطلّعَ فرخُ البطّ القبيحُ طويلًا إلى تلكَ الطّيورِ الجميلةِ المهاجرةِ ، فهفا قلبُهُ إليها ثمّ بكى حزنًا لفراقِها .

آهِ .. إنّهُ سيذكرُ هٰذهِ الطّيورَ الرّائعةَ دائمًا . ولمّا غابتْ تلكَ الطّيورُ عن ناظرَيْهِ واختفتْ في الأفقِ البعيدِ ، سارعَ فرخُ البطّ بغمسِ رأسِهِ في ماءِ النّهرِ الباردِ . لم يكنْ يعرفُ اسمَ هٰذهِ الطّيورِ الجميلةِ ، ولا المكانَ الّذي كانتْ ذاهبةً إليهِ ، ولٰكنّهُ أحبّها بشدّةٍ . ولم يكنْ فرخُ البطّ حينئذٍ يتطلّعُ إلى أنْ

يُصْبِحَ جَمِيلًا كَتِلْكَ الطُّيُورِ .

كُلُّ ما كانَ يَتَمَنَّاهُ هُوَ أَنْ يَسْتَطِيعَ العَيْشَ في سَلامٍ مَعَ البَطِّ الآخَرِ في الحَدِيقَةِ . وَلٰكِنَّ بُرُودَةَ الجَوِّ زادَتْ زِيادَةً كَبِيرَةً ، وَأَصْبَحَ مِنَ المُسْتَحِيلِ عَلَى فَرْخِ البَطِّ أَنْ يَظَلَّ في ماءِ النَّهْرِ المُثَلَّجِ . وَما إِنْ خَرَجَ مِنَ النَّهْرِ ، حَتَّى سَقَطَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ عِنْدَ ضِفَّتِهِ .

وَفي الصَّباحِ أَتَى رَجُلٌ فَقِيرٌ إِلى ضِفَّةِ النَّهْرِ ، وَرَأَى فَرْخَ البَطِّ مُلْقًى هُناكَ ، فَالْتَقَطَهُ مِنْ بَيْنِ الثُّلُوجِ ، وَحَمَلَهُ مَعَهُ إِلى مَنْزِلِهِ . وَفَتَحَ فَرْخُ البَطِّ عَيْنَيْهِ ، وَأَرادَ أَطْفالُ الرَّجُلِ الفَقِيرِ أَنْ يُلاعِبُوهُ ، وَلٰكِنَّهُ جَرَى مَذْعُورًا ، وَقَفَزَ إِلى داخِلِ وِعاءٍ مَلِيءٍ بِاللَّبَنِ ، وَصاحَتْ زَوْجَةُ الرَّجُلِ الفَقِيرِ في غَضَبٍ شَدِيدٍ . وَزادَ ذٰلِكَ مِنْ ذُعْرِ فَرْخِ البَطِّ ، فَانْدَفَعَ يَغُوصُ بِرِجْلَيْهِ في أَطْباقِ الطَّعامِ ، ثُمَّ راحَ يَعْدُو في مُخْتَلِفِ أَرْجاءِ المَنْزِلِ .

وَصاحَتِ المَرْأَةُ مَرَّةً أُخْرَى وَضَرَبَتْهُ . وَجَرَى الأَطْفالُ وَراءَهُ لِيُمْسِكُوا بِهِ . وَكانَ بابُ البَيْتِ مَفْتُوحًا ، فَخَرَجَ فَرْخُ البَطِّ القَبِيحُ في الحالِ ، وَجَرَى بَيْنَ الثُّلُوجِ المُتَكاثِفَةِ في الخارِجِ .

هامَ فَرْخُ البَطِّ في الخَلاءِ المُوحِشِ البارِدِ ، وَلٰكِنَّ أَحَدًا لَمْ يَرْثِ لِحالِهِ أَوْ يُقَدِّمْ لَهُ أَيَّ عَوْنٍ . وَمَرَّتْ بِهِ أَوْقاتٌ مَرِيرَةٌ ، كادَ خِلالَها أَنْ يَدْفِنَ نَفْسَهُ في الثَّلْجِ لِيَمُوتَ . اسْتَطاعَ آخِرَ الأَمْرِ أَنْ يَجْتازَ تِلْكَ الأَيّامَ القاسِيَةَ دُونَ أَنْ يَفْقِدَ الحَياةَ .. وَأَخِيرًا أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ وَمَلَأَتِ المَكانَ بِالدِّفْءِ .

كَبِرَ فَرْخُ البَطِّ ، وَنَما جِسْمُهُ . وَاسْتَيْقَظَ ذاتَ صَباحٍ لِيَجِدَ أَنَّ جَناحَيْهِ قَدِ اشْتَدّا وَأَنَّهُما يَقْوَيانِ عَلى حَمْلِهِ إِلى عُلُوٍّ شاهِقٍ . وَطارَ فَرْخُ البَطِّ عالِيًا في

السَّماءِ ثُمَّ هَبَطَ في حَدِيقَةٍ كَبِيرَةٍ ، مَلِيئَةٍ بِالأَشْجارِ الجَمِيلَةِ . كانَ هُناكَ نَهْرٌ صَغِيرٌ يَجْرِي قُرْبَ الأَشْجارِ ، وَكانَ كُلُّ شَيْءٍ مِنْ حَوْلِها رائِعًا جَمِيلًا .

وَخَرَجَتْ مِنَ الغابَةِ ثَلاثُ وَزّاتٍ مِنْ نَوْعِ التِّمِّ البَدِيعِ ، وَنَزَلَتْ إِلى النَّهْرِ ، وَعامَتْ عَلى صَفْحَةِ الماءِ في شَكْلٍ ساحِرٍ جَذّابٍ . وَتَذَكَّرَ فَرْخُ البَطِّ أَنَّهُ رَأَى تِلْكَ الطُّيُورَ الجَمِيلَةَ السّاحِرَةَ مِنْ قَبْلُ .

وَانْجَذَبَ فَرْخُ البَطِّ مَرَّةً أُخْرَى لِتِلْكَ الطُّيُورِ ، وَقالَ : « لا بُدَّ أَنْ أَذْهَبَ الآنَ إِلى هٰذِهِ الطُّيُورِ الفاتِنَةِ الَّتِي خَلَبَتْ لُبِّي وَسَلَبَتْ فُؤادِي ، وَلَوْ فَتَكَتْ بِي لِكَوْنِي قَبِيحَ الشَّكْلِ . »

وَسَبَحَ فَرْخُ البَطِّ حَتَّى لَحِقَ بِالطُّيُورِ داخِلَ النَّهْرِ ، وَقالَ لَها : « اقْتُلُونِي إِذا ما رَغِبْتُم في ذٰلِكَ . » وَحَنَى رَأْسَهُ بِالقُرْبِ مِنْ سَطْحِ الماءِ فَرَأَى ، وَيا لَلْعَجَبِ ! رَأَى جِسْمَهُ وَلَمْ يَكُنْ جِسْمَ بَطَّةٍ سَمِينَةٍ قَبِيحَةِ الشَّكْلِ ، كَما كانَ يَتَوَقَّعُ ، وَلٰكِنْ جِسْمَ تِمَّةٍ بارِعَةِ الحُسْنِ وَالجَمالِ ! ذٰلِكَ أَنَّ البَيْضَةَ الضَّخْمَةَ الَّتِي خَرَجَ مِنْها مُنْذُ عِدَّةِ شُهُورٍ ، كانَتْ بَيْضَةَ إِحْدَى طُيُورِ التِّمِّ الجَمِيلَةِ .

وَالْتَفَّتْ طُيُورُ التِّمِّ حَوْلَ شَقِيقِهِمُ الجَدِيدِ يُداعِبُونَهُ في حُبٍّ وَحَنانٍ . وَكانَ هُناكَ عَدَدٌ مِنَ الأَطْفالِ يَلْهُونَ في الحَدِيقَةِ ، وَيَرْمُونَ بِقِطَعٍ مِنَ الخُبْزِ إِلى التِّمِّ السّابِحِ في الماءِ ، وَأَشارَ إِلَيْهِ طِفْلٌ صَغِيرٌ قائِلًا : « ها هُوَ ذا طائِرُ تِمٍّ جَدِيدٌ يَظْهَرُ هُناكَ ! » فَرَدَّدَ سائِرُ الأَطْفالِ في مَرَحٍ وَسُرُورٍ : « أَجَلْ ، لَقَدْ ظَهَرَ هُناكَ طائِرُ تِمٍّ جَدِيدٌ ! »

وَتَطَلَّعُوا إِلَيْهِ بُرْهَةً ، ثُمَّ صاحُوا في انْبِهارٍ شَدِيدٍ : « إِنَّهُ تِمٌّ صَغِيرٌ بالِغُ

الرَّوْعةِ ! إنَّهُ أجْمَلُ وأفْتَنُ طيورِ التَّمِّ هٰذِهِ على الإطْلاقِ ! »

وابْتَهَجَ التَّمُّ الصَّغيرُ لِذٰلِكَ ، وغَمَرَتْهُ سعادةٌ كُبْرى . لَقَدْ تَذَكَّرَ كَيْفَ أنَّ أحَدًا لَمْ يَكُنْ يُحِبُّهُ مِنْ قَبْلُ . أمّا الآنَ ، فالأطْفالُ يقولونَ إنَّهُ أجْمَلُ وأفْتَنُ هٰذِهِ الطُّيورِ السّاحِرةِ .

وقالَ في فَرَحٍ : « لَمْ أكُنْ أظُنُّ أبَدًا أنَّني سأكونُ يَوْمًا ما سَعيدًا هٰكَذا ! »

العَنْدَليبُ

في قَديمِ الزَّمانِ ، كانَ هُناكَ مَلِكٌ عَظيمٌ يَسْكُنُ مَدينةً جَميلةً ، ويَمْتَلِكُ حَديقةً كَبيرةً حافِلةً بالأزْهارِ النّاضِرةِ . كانَ المَلِكُ يُعَلِّقُ جَرَسًا فِضِّيًّا صَغيرًا بِكُلِّ زَهْرةٍ مِنْ أزْهارِ الحَديقةِ ، وكانَ النّاسُ يَسْمَعونَ رَنينَ هٰذِهِ الأجْراسِ ، كُلَّما هَبَّتِ الرِّيحُ ، فيَتَطَلَّعونَ إلى الأزْهارِ الرّائِعةِ في إعْجابٍ وسُرورٍ . كانَتْ هٰذِهِ الحَديقةُ مِنَ السَّعةِ والضَّخامةِ ، بِحَيْثُ كانَ البُسْتانيُّ يَجْهَلُ مِساحَتَها الحَقيقيَّةَ . وكانَتْ تُؤَدّي بالسّائِرينَ فيها إلى غابةٍ جَميلةٍ ، لا تَلْبَثُ أنْ تَنْتَهيَ بِهِمْ إلى بَحْرٍ هائِلٍ .

كانَتْ أمْواجُ البَحْرِ تَصِلُ إلى أطْرافِ الغابةِ ، كَما كانَتِ السُّفُنُ تَمُرُّ بالقُرْبِ مِنْ أشْجارِها الضَّخْمةِ . وكانَ يَعيشُ فَوْقَ إحْدى هٰذِهِ الأشْجارِ عَنْدَليبٌ صَغيرٌ ، عَذْبُ الصَّوْتِ ، اعْتادَ أنْ يُغَرِّدَ فَوْقَ الشَّجَرةِ تَغْريدًا حُلْوًا شَجيًّا . واسْتَرْعى تَغْريدُهُ انْتِباهَ صَيّادِ سَمَكٍ فَقيرٍ ، فكانَ يأتي كُلَّ يَوْمٍ إلى تِلْكَ الشَّجَرةِ القَريبةِ مِنَ الشّاطِئِ ويَجْلِسُ تَحْتَها مُتَلَهِّفًا إلى سَماعِ تَغْريدِهِ الشَّجيِّ .



كانَ النّاسُ يأتونَ مِنْ مُختلِفِ البلادِ إلى هٰذهِ المدينةِ ، ويُعرِبونَ لِمليكِها العظيمِ عنْ إعجابِهِمُ الشّديدِ بمدينتِهِ الجميلةِ ، وقصرِهِ المنيفِ ، وحديقتِهِ الواسعةِ الغنّاءِ . غيرَ أنَّ العندليبَ كانَ يبهرُهُمْ أكثرَ مِنْ كلِّ هٰذهِ الأشياءِ بصوتِهِ الشّجيِّ ، فكانوا يصيحونَ ، كلّما استمعوا إلى تغريدِهِ العذبِ ، قائلينَ : « ليسَ هُناكَ أروعُ مِنْ هٰذا العندليبِ على الإطلاقِ . » ثُمَّ يستمرّونَ في الحديثِ عنْهُ لفترةٍ طويلةٍ بعدَ ذٰلكَ . وكانَ الأدباءُ ، الّذينَ يؤلّفونَ الكُتُبَ في وصفِ مدينةِ الملكِ وقصرِهِ وحديقتِهِ ، يُخصِّصونَ صفحاتٍ كثيرةً منها للتّحدُّثِ عنْ ذٰلكَ العندليبِ العجيبِ ، والتّغنّي بسحرِ شدوِهِ ، وروعةِ غنائِهِ .

كانَ النّاسُ مِنْ مُختلِفِ الأقطارِ يقرأونَ هٰذهِ الكُتُبَ . ووقعَ نظرُ الملكِ ذاتَ يومٍ على أحدِها ، فأخذَ في قراءتِهِ . وقرأَ الملكُ عدّةَ صفحاتٍ مِنَ الكتابِ ، وسُرَّ بكلِّ ما جاءَ بهِ مِنْ أوصافٍ عنْ حديقتِهِ وقصرِهِ . ولمْ يلبثْ أنْ طالعتْهُ هٰذهِ العبارةُ : « ولكنّنا لمْ نرَ لدى الملكِ شيئًا أفتنَ وأروعَ مِنَ العندليبِ . »

وهُنا صاحَ الملكُ متعجّبًا : « ما هٰذا الكلامُ ؟ العندليبُ ! أنا لمْ أرَهُ ولمْ أسمعْ بهِ مِنْ قبلُ ! أمِنَ الممكنِ أنْ يكونَ في مملكتي — بلْ في حديقتي الخاصّةِ — مثلُ هٰذا الطّائرِ العجيبِ ، دونَ أنْ أعلمَ شيئًا عنْهُ ؟ »

استدعى الملكُ رئيسَ الخدمِ ، وكانَ رجلًا ذا زهوٍ وكبرياءَ يبعثانِ على الضّحكِ . وكانَ يرفضُ أنْ يتلقّى أمرًا مِنْ أيِّ شخصٍ دونَ الملكِ ، وكانَ إذا بادرَهُ أحدٌ بسؤالٍ ، نظرَ إليهِ في استخفافٍ ، ومضى متأفّفًا دونَ أنْ يجيبَهُ بشيءٍ .

قالَ الملكُ لرئيسِ الخدمِ : « يقولُ النّاسُ إنَّ عندليبًا ساحرَ الغناءِ يعيشُ في

حديقتي ، وإنّهُ يخلبُ ألبابَ السّامعينَ بشدوِهِ الشّجيِّ الممتعِ . لماذا لمْ يُخبرْني أحدٌ مِنْ قبلُ بنبأِ هٰذا الطّائرِ العجيبِ ؟ »

أجابَ رئيسُ الخدمِ ، محاولًا أنْ يؤكّدَ أهمّيّةَ مركزِهِ في القصرِ : « أنا لمْ أسمعْ بهِ إطلاقًا ، يامولايَ ، كما أنَّ أحدًا مِنَ الخدمِ لمْ يُحضِرْهُ لمقابلتي . »

قالَ الملكُ في حدّةٍ وإصرارٍ : « أريدُ أنْ يأتيَ هٰذا العندليبُ ليُغرِّدَ لي اللّيلةَ . »

فأجابَ رئيسُ الخدمِ في ارتباكٍ : « أنا لمْ أسمعْ بهٰذا العندليبِ أبدًا قبلَ الآنَ ، وسأبدأُ البحثَ عنْهُ على الفورِ . »

ولكنْ أينَ يتسنّى لرئيسِ الخدمِ أنْ يجدَ العندليبَ ؟ لقدْ جرى هُنا وهُناكَ ، واستعانَ بمرءوسيهِ مِنَ الخدمِ ، دونَ جدوى . وعادَ الرّجلُ إلى الملكِ يجرُّ أذيالَ الخيبةِ ، ويعتذرُ عنْ عدمِ عثورِهِ على الطّائرِ المنشودِ .

ولكنَّ الملكَ ثارَ في وجهِهِ قائلًا : « لقدْ قرأتُ هٰذا الكتابَ الّذي يتحدّثُ عنِ العندليبِ ويُفيضُ في وصفِ جمالِهِ وروعةِ تغريدِهِ . إذًا لا بُدَّ أنَّ هٰذا الطّائرَ موجودٌ هُنا في القصرِ أوْ في الحديقةِ ... إنّي أريدُ أنْ أستمعَ اللّيلةَ إلى تغريدِهِ ، وعليكَ أنْ تأتيَ بهِ مهما كلّفكَ الأمرُ . »

حاولَ رئيسُ الخدمِ إخفاءَ ضيقِهِ الشّديدِ ، وهرولَ خارجًا مِنَ الحجرةِ ، وأسرعَ يبحثُ عنِ العندليبِ مرّةً أخرى في جميعِ غُرَفِ القصرِ ، وشاركَهُ سائرُ الخدمِ في ذٰلكَ ، فقدْ كانوا جميعًا يخشونَ غضبَ الملكِ .

حيرَ التقوْ بفتاةٍ صغيرةٍ كانتْ تعمل مساعدةَ طاهي القصرِ ، وسألوها :
« هل رأيتِ العندليب ؟ »

أجابت الفتاة : « أتقصدون ذلكَ الطائرَ الذي يصدحُ في الغابةِ قربَ البحرِ ؟ أجل رأيته ، وأعرفه جيداً . يا لروعة غنائه الساحر ! إنني أذهبُ كلَّ يوم بزيارة والدتي المريضة الفقيرة التي تسكنُ قربَ البحرِ ، حاملةً إليها الطعام ، وفي طريق عودتي إلى القصرِ كلَّ مساءٍ ، أجلس في الغابة بعض الوقت ، فتترامى إلى سمعي شدوُهُ الشجيُّ . إنّي أحسب عذوبة هذا الشدو ورقته ! إنَّ الدموعَ تنهمر على وجنتيَّ عند سماعه ، وكأنَّ أمي المسكينة تضمني إلى صدرها الضعيف ، وتمسني في شغف وحنانٍ ! »

صاح رئيس الخدم : « أيتها الفتاةُ الصغيرة ، خذينا على الفورِ إلى هذا الطائرِ العجيب . »

وسار الجميع إلى الغابة لإحضار العندليب ، وكان من بينهم رجالٌ من حاشية الملك وسمعوا ، وهم يسيرون على الطريق ، خوارَ بقرة .

صاح الخدم ورجال الحاشية معاً : « لقد وجدنا العندليب ! ها هو يصدحُ بأغنيةٍ رائعة ، يبدو أننا قد سمعنا هذا اللحن من قبل في مكانٍ ما . »

قالت الفتاة الصغيرة : « كلّا ياسادة ! إنَّ ما تسمعونَ هو صوتُ بقرةٍ ، نحنُ ما زلنا بعيدينَ عنْ مكان العندليب . »

ووصلوا أخيراً إلى الحديقة الواسعة وما أن مرّوا بنهر صغيرٍ ، تُنقنقُ الضفادعُ على ضفته

وصاح أحد الخدم قائلاً : « لقد سمعتُ الآنَ صوتَ العندليب الساحرِ ، إنه يشبه رنينَ الأجراسِ المعلّقة بالأزهار . »

أجابت الفتاةُ : « كلّا ، لقد سمعتم نقيق الضفادع . لا غناءَ العندليب ، أظنكم قد أوشكنا على الاقترابِ منه ، وسماع تغريده الرائع البديع . »

وتابعوا السير ، وترامى إلى آذانهم صوتٌ عذبٌ جميل ، فأشارت الفتاةُ إلى طائر صغير يجثم فوقَ إحدى الأشجار ، قائلة : « ها هو ذا العندليب الساحرُ ! »

حدّق رئيسُ الخدمِ في الطائرِ ، ثمَّ صاح في دهشةٍ قائلاً : « كيف يكونُ هذا الطائرُ هو العندليبَ الساحرَ ؟ إنّه ليس أجملَ الطيورِ التي في الحديقةِ بل طائرٌ عاديٌّ مثل سائر الطيورِ . »

عندئذ نادت الفتاةُ الطائرَ في رقةٍ قائلةً : « أيها العندليبُ الصغيرُ ! إنَّ مليكنا يريد أن تغرّد له الليلة . »

أجاب العندليب : « إنَّهُ يُسعدني جداً أنْ أغرّد لمولاي . » وشرع يشدو بصوتٍ شجيٍّ أطربَ كلَّ الواقفين تحتَ الشجرة .

وقد قال رئيسُ الخدمِ : « إنَّ صوتَهُ حلوٌ كرنينِ الأجراسِ الزجاجيةِ لم نسمعه قبلَ الآن ؟ إنَّ غناءه سيبعثُ السرورَ في قلبِ الملك ، وسينال إعجابه من رجالِ الحاشية . »

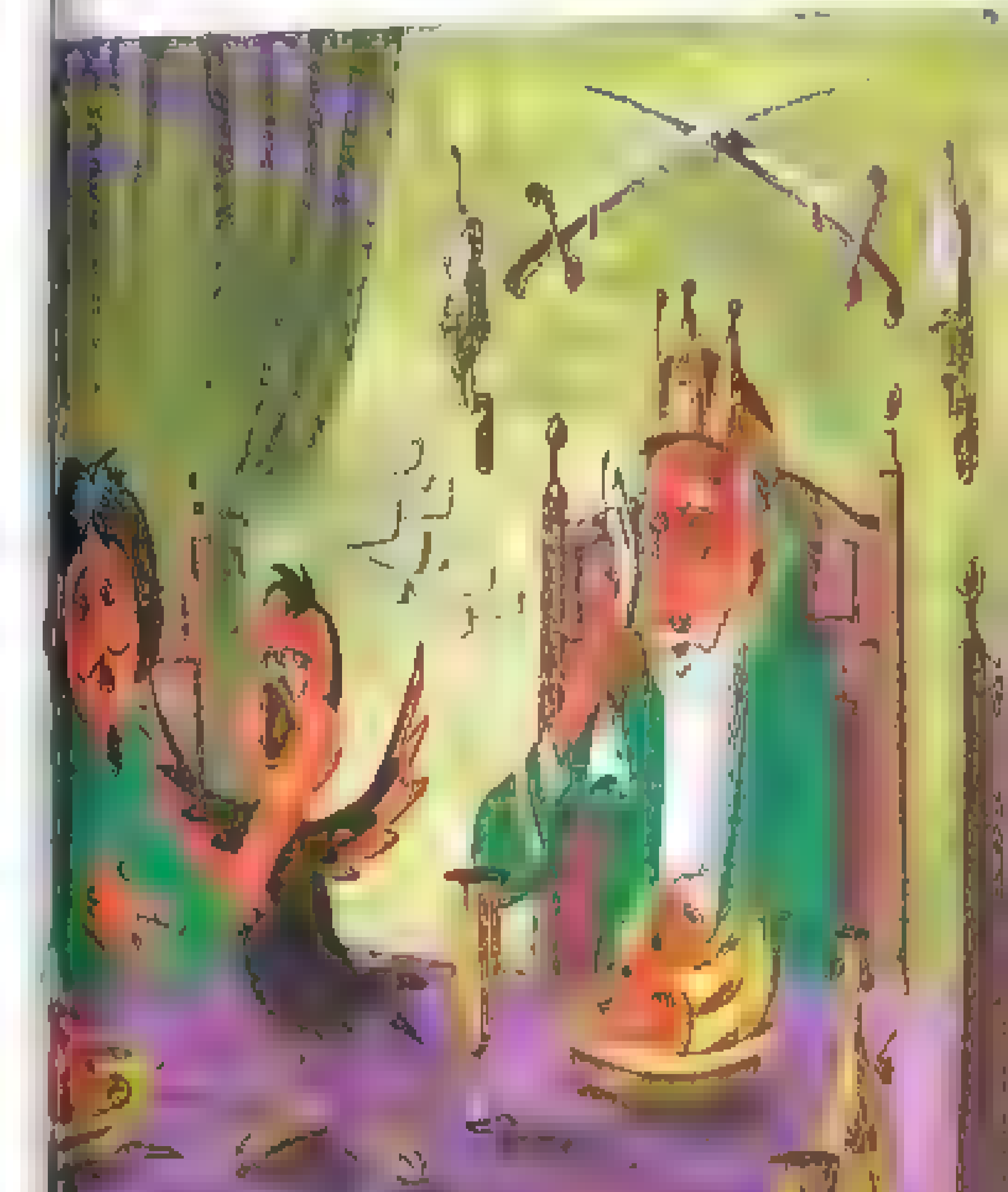
سأل الطائرُ الصغيرُ الذي ظنَّ أنَّ الملكَ موجودٌ بين الواقفين : « هل أغرّد مرةً ثانيةً لمولاي الملكِ ؟ »

غرّد رئيس الخدم قائلا: «أيها الطائر الصغير الجميل، إن الملك ينتظرك الآن في القصر، فهيّا معنا لتغرّد له الليلة هناك.» وشعت البهجة في قلبه وقلوب أصدقائه.

قال العندليب: «إنني أغرّد فوق الأشجار الخضراء، تحت قبة السماء الصافية الزرقاء، ولست أدري هل أستطيع الشدو داخل أحد القصور؟» ولكنه قبل الذهاب إلى القصر استجابة لرغبة الملك.

كان الملك جالسا في قاعة فخمة، تتوسطها منصة ذهبية، وقف فوقها العندليب. واجتمع خدم الملك وأصدقاؤه داخل القاعة، وقد ارتدوا أبهى ملابسهم، في انتظار أن يبدأ العندليب الغناء.

وغنّى العندليب الصغير أغنيات حلوة رقيقة، سالت بها دموع الملك



العظيم، وانهمرت الدموع من عيون سائر الحاضرين. ولما تمكنت الملك نشوة الطرب، صاح قائلا للعندليب:

«أيها الطائر الصغير الرائع، سوف أمنحك حذاء ذهبيا، تكريما لك.»

عبّر العندليب عن شكره للملك، قائلا: «إنني لا أريد شيئا يا مولاي، ويكفيني جزاء وفخرا أنني استطعت استدرار الدمع من عيني جلالتك، مصغي في غنائه البديع.»

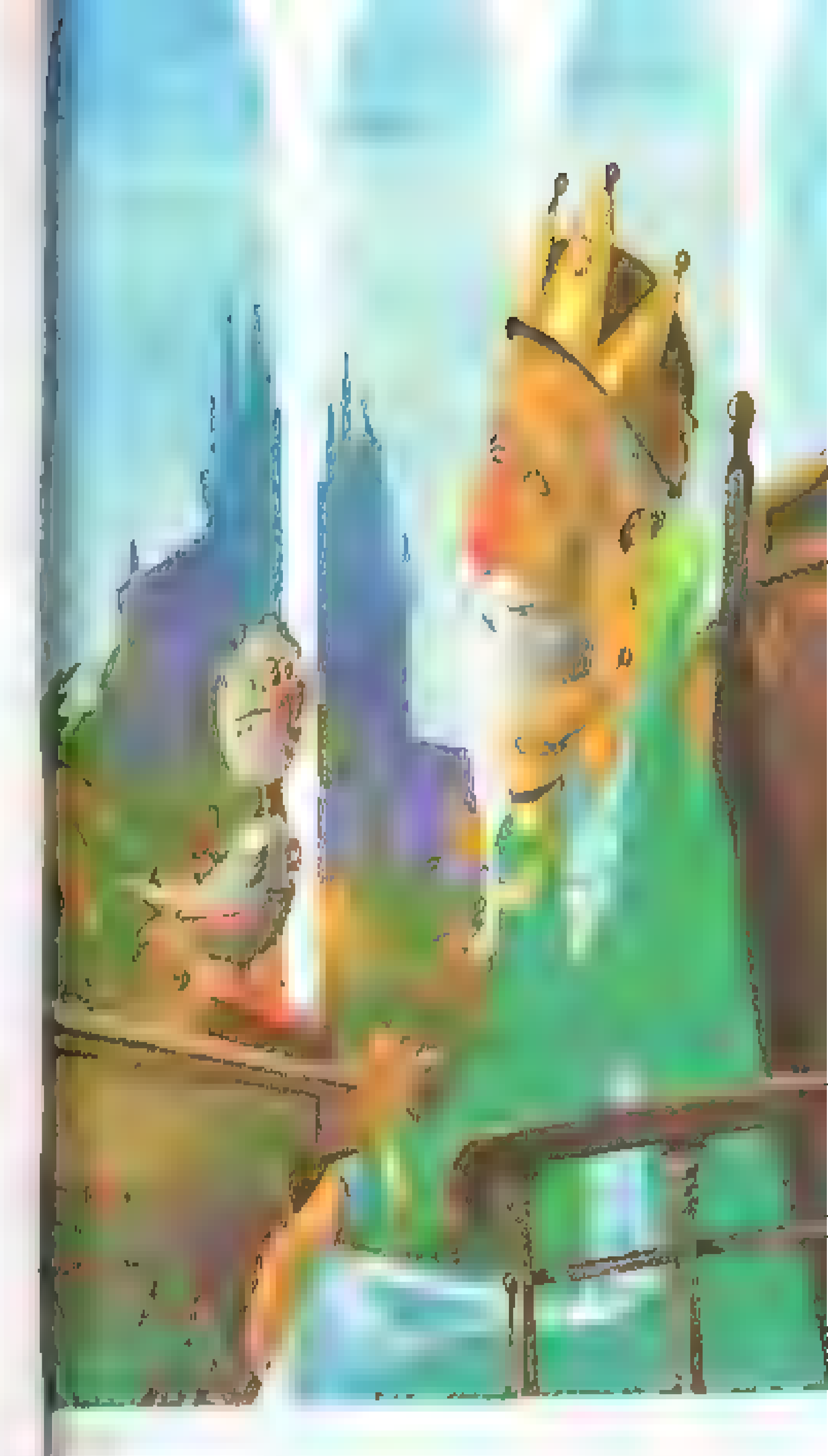
عندئذ قال الملك للعندليب: «أرجو أن تبقى في القصر، وسوف نسمح لك بالخروج إلى الغابة مرتين في النهار، ومرة أثناء الليل.»

ووضع الملك خدما كثيرين في خدمة العندليب الصغير، وكانوا يرافقونه أينما ذهب.

وأصبح ذكر العندليب على ألسنة كل الناس في المدينة، وقال البعض: «يا لجماله الرائع!»، وقال البعض الآخر: «يا لسحر غريب!»

ذات يوم، أحضر أحد الأشخاص صندوقا كبيرا للملك. فظن الملك أن بداخله كتابا، فقال الملك لنفسه: ها هو ذا كتاب آخر جديد عن عندليب الساحر.

ولكن الصندوق لم يكن يحوي كتابا، بل عندليبا آخر! لم يكن عندليب الصندوق طائرا حيّا كعندليب الغابة، وإنما كان طائرا مصنوعا من المعدن، لا يتناول طعاما ولا شرابا، ولا يستطيع التحليق أو الطيران، غير



أنه كان أجمل من عندليب الغابة في الشكل، وكان جسمه مرصعًا بالجواهر، وكان يستطيع التغريد

ونظر الملك إلى العندليب المعدني وقال: « أريد أن أستمع إلى غناء هذا

العندليب الجديد. » فأدار أحدهم مفتاحًا في الجسم المعدني، فشرع العندليب في الغناء، غير أنه أخذ يكرر نفس اللحن، دون أن يغني لحنًا سواه. وأراد الملك أن يستمع إلى عندليبه الحي مرة أخرى، ولكنه كان قد طار من النافذة المفتوحة، عائدًا إلى الغابة!

وتساءل الملك في غضب عما دعا العندليب الحي إلى ذلك. وأخذ الخدم يذمونه، ويرمونه بأقبح الصفات.

قال رجال الحاشية: « ليس العندليب الحي مثل هذا العندليب الجديد الذي يستجيب بالغناء في أي وقت نشاء، والذي يغني لنا كل مرة بنفس الطريقة. »

ووافق الخدم جميعًا على هذا القول، وتبعهم في ذلك أهالي المدينة، فكانوا يتصايحون إعجابًا كلما استمعوا إلى الطائر الجديد.

لكن صياد السمك الفقير كان قد استمع كثيرًا إلى شدو العندليب في الغابة، فلم يوافقهم على رأيهم، وصارحهم في جرأة قائلًا: « العندليب الجديد يشدو شدوًا عذبًا، لكن عندليب الغابة الصغير أعذب شدوًا. إن شدو عندليب الغابة يطربني ويحملني على أجنحة النشوة والسعادة. »

أما العندليب الجديد فقد وضعوه على منضدة قرب سرير الملك. وأتى الناس له بهدايا كثيرة من الذهب والجواهر، ووضعوها على المنضدة إلى جواره.

وكتب المؤلفون كتبًا مطولة عن العندليب الجديد. ومع أن كثيرين من الناس لم يقرؤوا هذه الكتب، فإنهم ادعوا أنهم أعجبوا بها أشد الإعجاب

واستمر الحال هكذا عاما. وحفظ الملك وحاشيته وكل سكان المدينة نغمات الأغنية التي يغنيها العندليب الجديد، فقد كان يغني دائما نفس الأغنية، وبنفس الطريقة، ولم يكن في استطاعته أن يغير الأغنية أو اللحن، فقد كان طائر لعبة، لا طائرا طبيعيا حيا. غير أن الناس قد سروا بذلك الطائر المعدني، لأنهم استطاعوا ترديد الأغنية معه، وأصبح الأطفال في الشوارع، بل الملك ذاته يردد نغمات تلك الأغنية في مختلف المناسبات.

ولكن ذات ليلة، دوى صوت مفاجئ داخل هذا العندليب، أعقبه سقوط شيء ما. وتوقف العندليب بعد ذلك عن الغناء.

وقفز الملك بسرعة من فراشه، واستدعى رجال حاشيته وعظماء المملكة، غير أنهم حاروا في الأمر. ثم أرسل الملك في طلب رجل يعرف كيف صنع هذا العندليب.

وفتح الرجل العندليب، ونظر في داخله، ثم أعاد تركيب أجزاء الجسم إلى ما كانت عليه. لكنه لم يلبث أن قال: «يجب ألا يغني هذا الطائر كثيرا بعد الآن. يمكن أن يغني مرة واحدة فقط كل عام!»

اغتم جميع الناس بهذا النبأ، لكن واحدا من حاشية الملك قال: «إن العندليب على خير ما يرام.» فردد باقي رجال الحاشية القول نفسه كالببغاوات!

بعد خمس سنوات، مرض الملك، وقال الأطباء إنه لن يعيش طويلا. وتهيأ ملك جديد لتولي العرش من بعده. وكان الناس يتجمعون عند بوابة القصر، ويسألون رئيس الخدم عن صحة الملك، غير أنه كان يهز كتفيه في

استعلاء، دون أن يجيبهم بشيء.

قد تمدد الملك شاحب الوجه في سريره الفخم. وظن الكثيرون من رجال حاشيته أنه قد مات، فتركوه ومضوا لرؤية الملك الجديد.

وبالقرب من فراش الملك كانت هناك نافذة مفتوحة، كان الملك يتطلع منها إلى الأفق البعيد.

اشتد المرض على الملك، وأحس أن نهايته قد اقتربت. أخذ يسترجع بفكره كل ما فعل في حياته من خير، ومن شر. ولم يلبث أن صاح قائلا:

«سوف أستمع إلى شيء من الغناء، لأطرد هذه الأفكار الحزينة بعيدا عني. أيها العندليب الصغير، أغثني بغنائك الجميل! غرد لي! أرجوك!»

غير أن العندليب خرس عن الغناء، ورجاه الملك ثانية أن يغرد — مذكرا إياه بما قدم له من ذهب وجوهر — ولكن العندليب ظل على حاله من الصمت التام، لأنه أصبح مجرد لعبة معدنية تافهة. كما أنه لم يكن — يوما — طائرا حيا تجري في عروقه الدماء.

وتأوه الملك قائلا: «سوف أموت بعد لحظات!»

عندئذ ترامى إلى أذنيه تغريد شجي عبر النافذة. والتفت الملك فإذا أمامه العندليب الصغير الذي يعيش في الغابة. كان العندليب واقفا على الشجرة بالقرب من النافذة، وكان قد علم بمرض الملك الشديد، فأتى ليغرد له.

غرد العندليب الصغير، وأطال التغريد. غرد للورود البيضاء الجميلة،

وَالْأَزْهَارِ النَّاضِرَةِ الْفَوَّاحَةِ بِالْعِطْرِ، وَغَرَّدَ بِعَذْبِهِ الْمَسِيحَةِ الرَّائِعَةِ، وَالْحُقُولِ الْمُزْهِرَةِ. وَابْتَهَجَتْ نَفْسُ الْمَلِكِ كَثِيرًا بِتِلْكَ التَّغْرِيدِ، وَأَخَذَ يَتَمَاثَلُ بِالشِّفَاءِ.

قَالَ الْمَلِكُ لِلْعَنْدَلِيبِ: «يَا طَائِرِي الْعَزِيزَ، أَشْكُرُكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِي. إِنَّنِي أَعْرِفُكَ جَيِّدًا أَيُّهَا الطَّائِرُ الصَّغِيرُ الْجَمِيلُ. لَقَدْ دَفَعْتُكَ - بِقَسْوَتِي - ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى الْهَرَبِ مِنْ قَصْرِي وَمِنْ مَمْلَكَتِي. وَلَكِنْ هَا أَنْتَ ذَا تَعُودُ الْيَوْمَ لِكَيْ تُنْقِذَ حَيَاتِي. لَنْ أَمُوتَ الْآنَ لِأَنِّي سَمِعْتُكَ تُغَرِّدُ مَرَّةً أُخْرَى. مَاذَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُقَدِّمَ لَكَ، يَا عَنْدَلِيبِي الْعَزِيزَ؟»

أَجَابَ الْعَنْدَلِيبُ: «لَا شَيْءَ مُطْلَقًا يَا مَوْلَايَ، فَلَقَدْ سَبَقَ أَنْ مَنَحْتَنِي كَثِيرًا. أَتَذْكُرُ، يَا صَاحِبَ الْجَلَالَةِ، حِينَ غَرَّدْتُ لَكَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ؟ لَقَدْ رَأَيْتُ الدُّمُوعَ تَنْسَابُ مِنْ عَيْنَيْكَ. وَإِنَّنِي أَشْعُرُ بِسَعَادَةٍ عَظِيمَةٍ كُلَّمَا تَذَكَّرْتُ تِلْكَ اللَّحْظَةَ. وَلَكِنْ هَيَّا الْآنَ لِلنَّوْمِ. سَأَظَلُّ أُغَرِّدُ لَكَ إِلَى أَنْ تَسْتَعِيدَ صِحَّتَكَ بِالنَّوْمِ».



وَغَرَّدَ الْعَنْدَلِيبُ أُغْنِيَةَ النَّوْمِ، وَأَغْمَضَ الْمَلِكُ عَيْنَيْهِ، ثُمَّ رَاحَ فِي سُبَاتٍ عَمِيقٍ. وَلَمَّا اسْتَيْقَظَ فِي الصَّبَاحِ، رَأَى الشَّمْسَ سَاطِعَةً فِي السَّمَاءِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَرَ أَحَدًا فِي الْقَصْرِ. كَانَ الْخَدَمُ وَرِجَالُ الْحَاشِيَةِ قَدْ غَادَرُوهُ جَمِيعًا، ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّ الْمَلِكَ قَدْ مَاتَ.

وَلَكِنَّ الْعَنْدَلِيبَ الصَّغِيرَ كَانَ لَا يَزَالُ وَاقِفًا فِي مَكَانِهِ مِنَ الشَّجَرَةِ يَشْدُو بِأُغْنِيَةِ الصَّبَاحِ.

قَالَ الْمَلِكُ لِلْعَنْدَلِيبِ فِي حُبٍّ وَحَنَانٍ: «سَوْفَ تَبْقَى مَعِي عَلَى الدَّوَامِ، يَا عَنْدَلِيبِي الْعَزِيزَ. سَوْفَ أَطْلُبُ مِنْكَ أَنْ تُغَرِّدَ، وَلَكِنْ عِنْدَمَا يَرُوقُ لَكَ ذَلِكَ. وَسَوْفَ أَرْمِي الْآنَ بَعِيدًا بِهَذَا الطَّائِرِ الْمَعْدِنِيِّ الْأَخْرَسِ».

أَجَابَ الْعَنْدَلِيبُ: «لَا تَفْعَلْ ذَلِكَ يَا مَوْلَايَ! فَقَدْ أَدَّى هَذَا الطَّائِرُ دَوْرَهُ قَدْرَ مَا يَسْتَطِيعُ. إِنَّهُ لَمْ يُخْلَقْ لِلتَّغْرِيدِ كَمَا خُلِقْتُ. وَلَكِنَّنِي لَنْ أَسْتَطِيعَ الْعَيْشَ دَاخِلَ الْقَصْرِ، وَسَأُسْرِعُ إِلَيْكَ كُلَّمَا شَعَرْتُ بِأَنَّكَ فِي حَاجَةٍ إِلَيَّ. حِينَئِذٍ سَوْفَ آتِي فِي الْحَالِ، وَأَقِفُ عَلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ قُرْبَ النَّافِذَةِ، لِأَشْدُوَ لَكَ بِأَرْوَعِ الْغِنَاءِ، وَأَحْمِلَكَ إِلَى عَالَمِ الْبَهْجَةِ وَالْهَنَاءِ». وَطَارَ الْعَنْدَلِيبُ بَعِيدًا.

جَاءَ رِجَالُ الْحَاشِيَةِ وَالْخَدَمُ، لِيُلْقُوا النَّظْرَةَ الْأَخِيرَةَ عَلَى جُثْمَانِ مَلِكِهِمُ الَّذِي ظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ مَاتَ. وَلَكِنْ مَا إِنِ اصْطَفُّوا حَوْلَ فِرَاشِهِ، حَتَّى رَفَعَ الْمَلِكُ رَأْسَهُ عَنِ الْوِسَادَةِ، وَنَظَرَ إِلَيْهِمْ فِي سُخْطٍ وَازْدِرَاءٍ، ثُمَّ قَالَ فِي نَبْرَةٍ تَفِيضُ بِالسُّخْرِيَةِ: «طَابَ صَبَاحُكُمْ يَا سَادَةُ!»

عروس البحر

لو أنك توغلت بعيدًا في البحر حتى تصل إلى المياه الصافية الشديدة الزرقة، التي تعكس صورة وجهك واضحة كمرآة من البلور النقي، ثم هبطت من ذلك الموضع رويدًا رويدًا إلى أعماق البحر حتى تصل إلى قاعه السحيق، لوجدت في ذلك القاع أشجارًا ونباتات جميلة ومتنوعة، لا تراها عين المرء الذي يبحر على سطح الماء، ورأيت الأسماك تمرق كالسهام بين الأشجار المتجاورة في القاع. عندئذ تكون قد أتيت إلى مدينة ملك البحر.

كانت زوجة ملك البحر قد ماتت منذ سنوات، فتولت أمه العجوز رعاية شؤونه الخاصة. وكانت أم الملك تحب حفيداتها عرائس البحر الست الجميلات حبًا جمًا. وكانت العرائس الست يبادلن جدتهن نفس الحب.

كانت عروس البحر الصغرى أجمل أخواتها: فعيناها في مثل زرقة البحر الصافية، وبشرتها بيضاء. ولكنها كانت، كسائر أخواتها، بلا ساقين. فقد كانت أجسام هؤلاء العرائس مثل أجسام الفتيات الجميلات من البشر، ما عدا الجزء الأسفل منهن الذي كان في هيئة ذيل السمكة.

كانت العرائس الست طوال اليوم داخل قصر والدهن الفسيح في قاع البحر. وكانت الأزهار الجميلة تنمو على جوانب الحوائط في جميع غرف هذا القصر. وكانت الأسماك تندفع إلى داخل الحجرات كلما فتحت النوافذ، كما تندفع العصافير إلى داخل بيوتنا من النوافذ المفتوحة. غير أن الأسماك كانت أكثر جرأة من العصافير، فقد كانت تتجه مباشرة إلى العرائس الصغيرات لتلتقط الطعام من أيديهن.

كانت أمام قصر الملك حديقة واسعة مليئة بنباتات حمراء وزرقاء، تزهر أزهارها بلون قرمزي براق، وتحيط بها ظلال زرقاء خفيفة، تعكسها مياه البحر الصافية حتى ليحس الجالس بها أنه ليس في الكون أبدع من هذا المكان.

كان لكل واحدة من العرائس جزء مخصص لها في هذه الحديقة تزرع فيه أزهارها المفضلة. وقد زرعت صغرى عرائس البحر في الجزء المخصص لها أزهارًا حمراء كثيرة، كما زرعت إلى جانب تلك الأزهار شجرة حمراء. وكانت هذه العروس تختلف عن أخواتها كثيرًا فيما تحب وما تكره.

كانت عروس البحر الصغيرة تحب أن تسمع الحكايات عن الناس الذين يختلفون عنها، ولا يشبهونها في شيء. الناس الذين لهم سيقان، ويعيشون على سطح الأرض، لا في أعماق البحر. وكانت تلح على جدتها أن تقص عليها كل ما تعرفه عن السفن التي تشق أمواج البحر، وعن المدن المستقرة فوق اليابسة، ومن يسكنون هذه المدن. وقد سرت عروس البحر الصغيرة كثيرًا عندما عرفت من جدتها أن الأزهار التي تنبت فوق الأرض تتميز برائحة حلوة عطرة، لأن الأزهار التي في أعماق البحر كانت بلا رائحة. وسرت كذلك عندما قالت لها الجدة إن الأسماك التي تسبح في السماء، كثيرًا ما تصدح بالغناء. وكانت الجدة تعني بتلك الأسماك الطيور المحلقة في الفضاء، التي لم تكن عروس البحر تعرف لها اسمًا ولا رأتها أبدًا.

قالت الجدة لحفيدتها الصغيرة: «سوف نسمح لك بالصعود إلى سطح



الماء. عندما تبلغين الخامسة عشرة من عمرك المديد إن شاء الله، وهناك سوف تجلسين في المساء، وترقبين السفن الغادية والرائحة في عرض البحر. عندئذ سوف تعرفين الكثير عن المدن، وعمن يسكنونها من مخلوقات تسمى بالبشر.

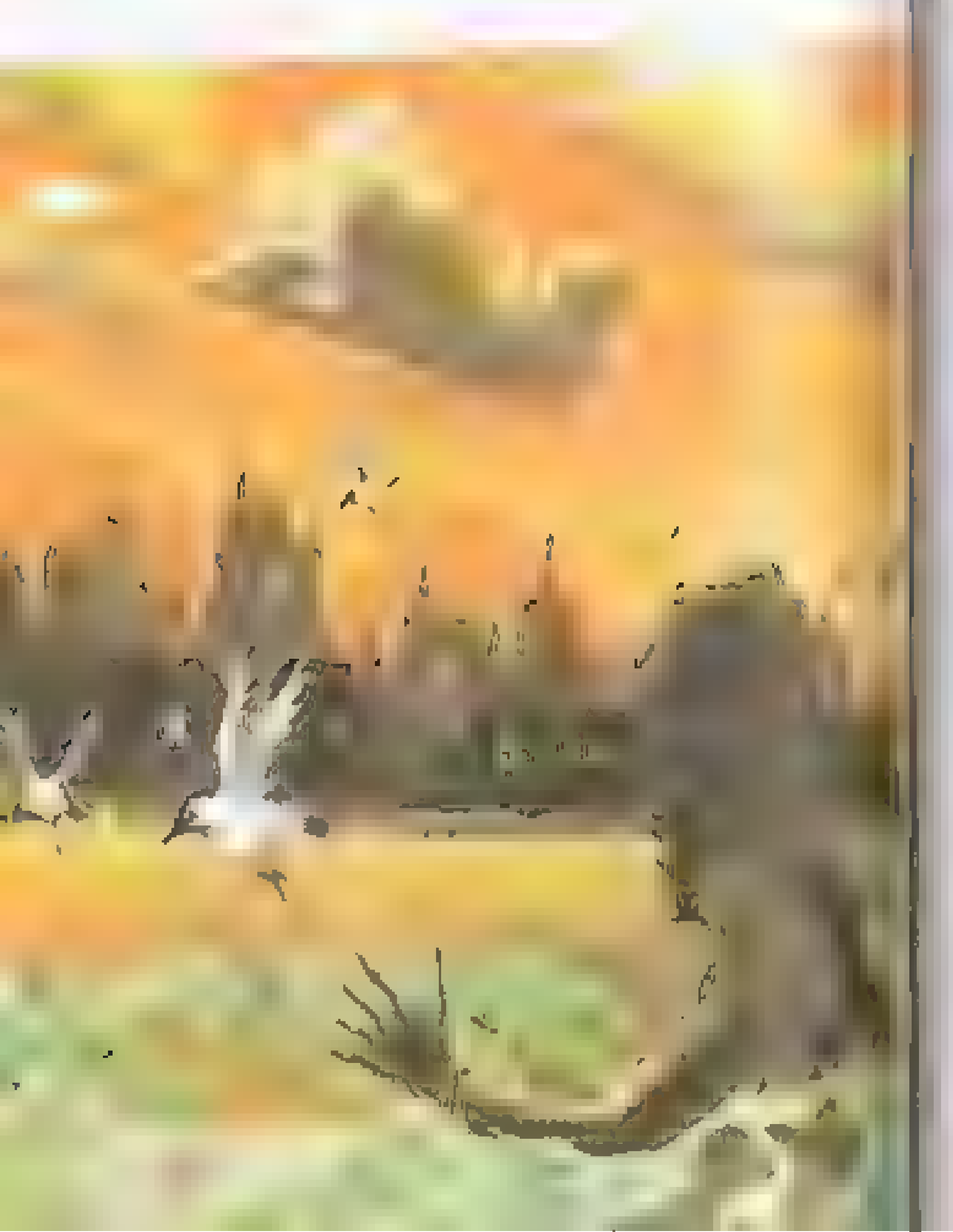
كانت كبرى عرائس البحر ستبلغ الخامسة عشرة في العام التالي، وكانت سعيدة جدًا بذلك، في حين حزنت أخواتها لأنهن لن يصعدن معها إلى سطح البحر. لكن الأخت الكبرى أخذت تسري عنهن، ووعدتهن بأن تقص عليهن كل ما تراه في رحلتها المرتقبة.

وكانت الشقيقة الصغرى أشد العرائس رغبة، وأكثرهن شوقًا للصعود إلى سطح البحر. وطالما وقفت في الليل، تتطلع من نافذة غرفتها المفتوحة إلى أعلى، محاولة أن تنفذ ببصرها خلال المياه الزرقاء. وكانت كلما رأت سفينة تمر في البحر، ظنتها سمكة عملاقة.

أخيرًا جاء اليوم الذي بلغت فيه كبرى العرائس عامها الخامس عشر، فصعدت إلى سطح البحر.

وبعد عودتها من الأعماق، كانت تعرف معلومات وحكايات كثيرة عنها. لكن أعظم ما استمتعت به هو رؤية المدينة الكبيرة. كانت المدينة قرب البحر، وكانت تغمرها أضواء براقة ساحرة. وقد سمعت، وهي تسبح في الماء، أشخاصًا يغنون، ورجالًا يتحدثون، كما رأت سفنًا ضخمة عملاقة. عندئذ تمنت دخول تلك المدينة العظيمة الخلابة.

توسلت عروس البحر الصغيرة إلى أختها أن تعيد عليها حكاية كل ما رأته وما سمعته عند صعودها إلى سطح البحر. وعندما وقفت الصغيرة في الليلة التالية في نافذتها المفتوحة، وتطلعت إلى أعلى المياه الزرقاء الصافية، خيل إليها أنها تسمع أصوات المدينة تأتيها خافتة من بعيد.



وفي العام التالي، بلغت عروس أخرى من العرائس الست عمرها الخامس عشر، فصعدت إلى سطح البحر، وعندما اتخذت مكانها على صفحة الماء، كانت الشمس مائلة للغروب.

قالت العروس لأخواتها عندما عادت إلى قاع البحر: «أجمل ما وقعت عيناي عليه، في رحلتي تلك، مشهد الأفق الغربي وقد اكتسى ببريق ذهبي دافئ في المساء. لا أستطيع أن أصف لكن روعة هذا المشهد وبهجته.»

وسرعان ما حان الوقت لتصعد عروس أخرى إلى سطح البحر. كانت هذه العروس أشجع الأخوات الست. فقد سبحت في أحد الأنهار التي تصب في مياه البحر. ورأت، وهي في النهر، الغابات الممتدة على سفوح الجبال، والمنازل القائمة فوق التلال. وطربت لشدو الطيور الصادحة على الشجر. وكان هناك أطفال كثيرون يعبرون إلى النهر، ويلاعبون كلابهم في الماء. ونبح أحد هذه الكلاب خلف عروس البحر فتملكها خوف شديد وأسرعت عائدة إلى البحر.

قالت عروس البحر في نفسها عند وصولها إلى القاع: «لن أنسى ما حييت تلك الجبال الرائعة والغابات الجميلة. وسأذكر دائمًا أولئك الأطفال الظرفاء، الذين يتميزون بالرقة والجمال.»

جاء دور الأخت الثالثة بالصعود إلى سطح البحر، ولم تكن جريئة كأختها، فقنعت بالبقاء على سطح الماء، دون السباحة في النهر. وقالت عندما عادت إلى قصرها في أعماق البحر: «لقد رأيت السفن الضخمة، ولكن من بعيد. كانت تبدو، على البعد، كطيور بيضاء سابحة في الفضاء!»

انقضى عام آخر، وبلغت عروس أخرى سن الخامسة عشرة فصعدت إلى سطح الماء. غير أن الجو كان شديد البرودة في ذلك الوقت من السنة، وكانت الأرض مغطاة بالثلج. وهكذا عادت سريعًا إلى قاع البحر.

لقد سعدت الأخوات الخمس اللاتي صعدن إلى سطح البحر كثيرًا برؤية السفن والبشر، ولكن هذه الأشياء لم تبق طويلًا في ذاكرتهن. وسرعان ما تبين لهن أن مساكنهن في قاع البحر أكثر روعة وجمالًا من كل ما رأين على سطح الأرض، أو فوق صفحة الماء.

غير أن الأخوات الخمس صعدن إلى سطح البحر عدة مرات بعد ذلك، وكن يظهرن متشابكات الأيدي على صفحة الماء، ويغنين أغنيات رقيقة عذبة للمسافرين على ظهور السفن.

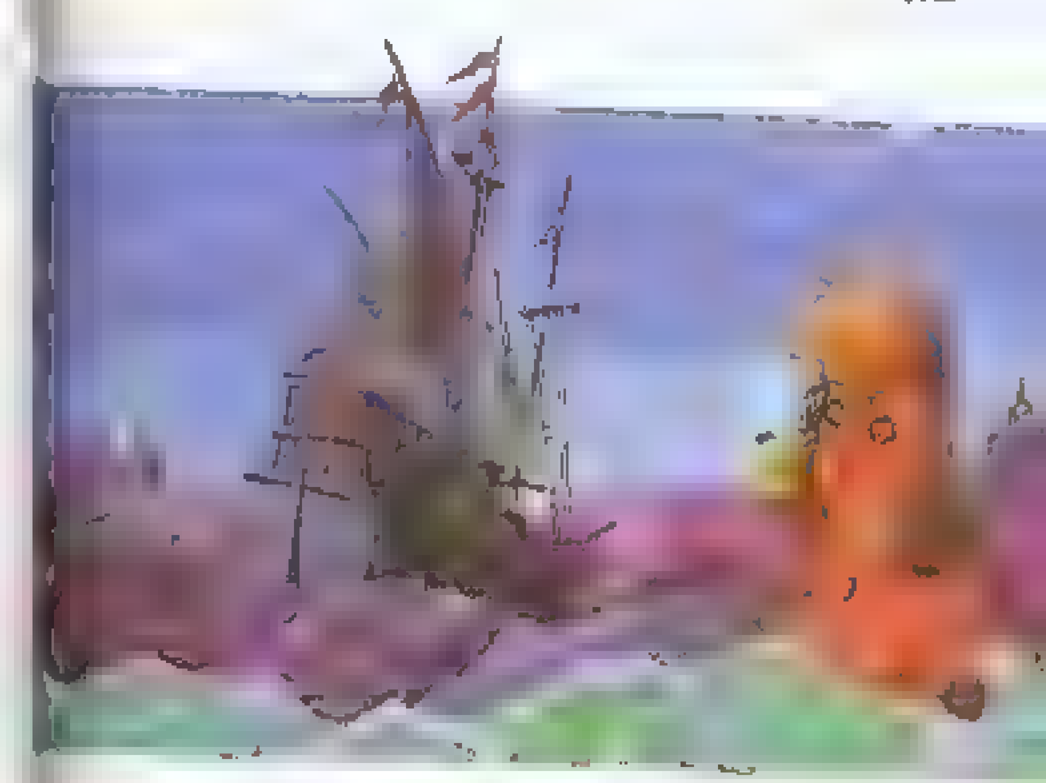
كانت هناك أغنية جديدة يرددنها بين الحين والآخر، ويشدن فيها: «ألا ما أسعدنا، نحن اللائي نعيش في أعماق البحر!»

ثم يغرين ركاب السفن بالنزول إليهن في قاع البحر، ويحاولن [illegible] من الغوص إلى الأعماق.

وعندما كانت عرائس البحر الخمس يصعدن إلى سطح الماء أثناء الليل، كانت أختهن الصغرى تجلس في قصر أبيها تتطلع إلى أعلى وترغب في البكاء أسفًا على بقائها بمفردها تحت الماء، وشوقًا للصعود مع أخواتها إلى السطح. غير أن سكان قاع البحر لا يعرفون البكاء وهذا هو سبب ألمهم الشديد في معظم الأحيان، إذ إنهم يكبتون مشاعر الحزن والأسى ولا يستطيعون التعبير عن أنفسهم بالبكاء.

قالت عروس البحر الصغيرة تحدث نفسها: متى أبلغ الخامسة عشرة؟ إن على يقيني أنني سوف أحب الأرض ومن عليها من البشر.

أخيرًا بلغت سن الخامسة عشرة، فسمحت لها جدتها بالصعود إلى سطح الماء.



وصلت عروس البحر الصغيرة إلى السطح مع غروب الشمس، فرأت سفينة كبيرة تسير في عرض البحر، يقف على ظهرها رجال يغنون ويعزفون. وعندما هبط الظلام، سطعت أنوار عديدة في جسم السفينة، فبدت كنجمة متلألئة في قلب البحر الواسع العريض.

اقتربت عروس البحر الصغيرة من السفينة، ومدت بصرها إلى ما وراء النوافذ، فرأت رجالًا وجهاء يرتدون ملابس فاخرة أنيقة. وكان أجمل هؤلاء الرجال أميرًا شابًا ذو عينين واسعتين زرقاوين. وكان في مثل سن الأميرة أو يكبرها بقليل. وكانت الأضواء تغمر السفينة وتكشف عما في داخلها بوضوح، وبدا الأمير الشاب في قمة المرح والسعادة.

لم تستطع عروس البحر الصغيرة أن تبتعد عن السفينة بعد أن رأت على ظهرها ذلك الأمير الوسيم الجميل، وظلت تتطلع إلى ما وراء النافذة وقتًا طويلًا. وزادت السفينة من سرعتها في الإبحار، غير أن السحب لم تلبث أن تكاثفت، ثم انهمر مطر غزير، ودوّى صوت الرعد، ولمع البرق في السماء، وأخذت الرياح العاتية تتلاعب بالسفينة، وتتقاذفها ذات اليمين وذات الشمال، وسرعان ما تدفقت المياه إلى داخل السفينة، ودفعت بها إلى أعماق البحر.

سُرّت عروس البحر الصغيرة بما حدث للسفينة، فقد ظنت أن ذلك سوف يتيح لها الالتقاء بفتى أحلامها الوسيم في قاع البحر. ولكنها لم تلبث أن حدثت نفسها قائلة: ولكن هل يستطيع بنو البشر أن يعيشوا تحت الماء؟ أخشى أن يفقد أميري الجميل حياته وهو في طريقه إلى قصري. ثم صاحت في قلق ولهفة: لا! يجب ألا يموت!

شرعت تبحث عن الأمير الشاب بين الأمواج، وما إن رأته حتى مرقت إليه كالسهم وأخرجت رأسه من تحت الماء. كانت عيناه مغمضتين، وكان على وشك الموت.



طلع الصبح، وبزغت الشمس ككتلة من نار. وكانت عروس البحر الصغيرة تمسك بيد الأمير، وهو ملقى على أرض غابة قرب البحر.

وقبلت عروس البحر الصغيرة وجه الأمير، وهي تهمس في انفعال: «لا أريده أن يموت. كلا! يجب ألا يموت».

ثم تطلعت إلى الغابة الفسيحة المحيطة بهم، وإلى التلال البعيدة المغطاة بالثلوج، فرأت منزلًا أبيض اللون، يتوسط تلك الغابة، وخرجت من المنزل بضع فتيات جميلات، ليتنزهن في الغابة. وما إن رأتهن عروس البحر حتى سبحت بعيدًا واختبأت خلف كومة من الحجارة.

وقع بصر إحدى هؤلاء الفتيات على الأمير، فظنت أنه ميت وفزعت الفتاة الجميلة لذلك، وصاحت طالبة النجدة. أما عروس البحر الصغيرة، فقد اختلست النظر إلى الأمير من خلف الحجارة. وعندما اطمأنت إلى أنه ما زال على قيد الحياة، عادت إلى مخبئها تاركة إياه في رعاية الفتاة الأخرى.

لم يبحث الأمير الشاب عن عروس البحر، إذ لم يكن يعلم أنها هي التي أنقذته من الغرق. وتجمع بعض الناس، وحملوا الأمير إلى المنزل الأبيض الموجود في الغابة. وحزنت الأميرة لذلك أشد الحزن فغطست إلى الماء، وعادت إلى قصر أبيها في قاع البحر.

سألتها أخواتها عما رأت على سطح الأرض، ولكنها لم تجب بشيء. مرت بضعة أسابيع، وزال البرد الشديد، وانحسرت الثلوج عن التلال، وتفتحت الأزهار في الغابات. وفي أثناء ذلك كانت عروس البحر الصغيرة قد ذهبت عدة مرات إلى المنزل الأبيض الموجود في الغابة، لكنها لم تر أميرها

المحبوب. وكانت في كل مرة، تعود إلى أعماق البحر حزينة. وبلغت بها الحال أن كرهت حديقتها الخاصة الجميلة.

وأخيرًا حكت قصتها لإحدى أخواتها. وختمت قصتها قائلة: «والآن، هل عرفتِ، يا أختاه، لماذا أنا حزينة؟»

حكت الأخت القصة لسائر الأميرات، فنقلنها إلى صديقاتهن وتذكرت إحدى الصديقات أنها رأت الأمير الشاب من قبل، فدلت الأميرات على البلد الذي يعيش فيه.

اصطحبت عرائس البحر الخمس أختهن الصغرى في رحلتهن إلى سطح الماء، ثم خرجن من البحر متشابكات الأيدي أمام قصر الأمير.

كان القصر مبنيًا من الأحجار البيضاء. وتطلعت العرائس، عبر النافذة المفتوحة، إلى داخل حجراته الواسعة. وكانت الحجرات ذات رونق ساحر يجذب من يراه حتى إن عرائس البحر شعرن ببهجة عظيمة بمجرد النظر إليها. وعرفت عروس البحر الصغيرة أن ذلك هو قصر أميرها الشاب. فتكررت زياراتها الليلية للقصر. وكانت في كل مرة تذهب إلى هناك، تقف بالخارج، وتمد بصرها إلى داخل الغرفة التي يجلس بها الأمير.

رأت الأمير الشاب في أحيان كثيرة واقفًا على ظهر سفينة صغيرة تسير في النهر. وكانت حينئذ تختبئ بين الحشائش الطويلة، النامية على ضفة النهر، وتتطلع إليه في شغف من بعيد. وسمعت الصيادين، ذات ليلة، يتحدثون عن الأمير ويصفونه بالشجاعة والإقدام. فشعرت بالسعادة لأنها تمكنت ذات يوم من إنقاذ حياته.



أخذ حبُّ عروسِ البحرِ الصغيرةِ للبشرِ، الذين يعيشون على الأرض، ينمو أكثرَ فأكثرَ كلَّ يومٍ. ورغبتْ في أن تُصبحَ واحدةً من هؤلاءِ البشرِ، الذين يستطيعون التنقُّلَ من مكانٍ إلى مكانٍ فوقَ سطحِ الأرضِ، ويستطيعون الإبحارَ في الماءِ على ظهورِ السفنِ، والصعودَ إلى قممِ الجبالِ الشاهقةِ. ويستطيعون أيضًا زراعةَ الحدائقِ الغنّاءِ الواسعةِ، وبناءَ البيوتِ الأنيقةِ الضخمةِ. وغيرَ ذلك، ممّا لا يستطيعُ بنو جنسِها القيامَ به من أعمالٍ. أرادتْ أن تعرفَ المزيدَ عن حياةِ الناسِ الذين يعيشون على سطحِ الأرضِ، ولكنَّ أخواتِها لم يستطعنَ الإجابةَ عن أسئلتِها الكثيرةِ.

لجأتْ عروسُ البحرِ الصغيرةُ مرّةً أخرى إلى جدّتِها العجوزِ تسألُها: «هل يعيشُ البشرُ الذين يسكنون الأرضَ إلى الأبدِ؟»

أجابتِ الجدّةُ: «لا! لا بدَّ أن يموتوا، مثلَنا، في يومٍ من الأيامِ. وحياتُهم ليستْ طويلةً كحياتِنا. نحنُ نعيشُ حوالَي ثلاثمئةِ عامٍ. وعندما نموتُ، تتحوّلُ أجسادُنا إلى ماءٍ يمتزجُ بمياهِ البحرِ. ولكنْ ليسَ لنا أرواحٌ كتلكَ التي تسكنُ أجسادَ بني البشرِ. بهذا السببِ فنحنُ نفنى فناءً تامًّا

بالموتِ، في حينِ تصعدُ أرواحُهم، عندما يتركُهم الموتُ، إلى مكانٍ رائعٍ في السماءِ.»

تساءلتْ عروسُ البحرِ الصغيرةُ: «ولماذا لا يكونُ لنا نحنُ أرواحٌ كالتي لبني البشرِ يا جدّتي؟ لو كانَ لي روحٌ لما أردتُ أن أحيا ثلاثمئةِ عامٍ، إذ سأكونُ قادرةً – بعدَ الموتِ – على أن أعيشَ إلى الأبدِ، في ذلكَ المكانِ البهيجِ الرائعِ في السماءِ!»

قالتِ الجدّةُ: «يجبُ ألّا تفكّري في مثلِ هذهِ الأمورِ. نحنُ أطولُ عمرًا من بني البشرِ ونحيا حياةً أسعدَ بكثيرٍ.»

قالتْ عروسُ البحرِ: «إذ متُّ هنا في قاعِ البحرِ، فلن أستطيعَ الصعودَ إلى سطحِه بعدَ ذلكَ، ولن أسمعَ أبدًا صخبَ الأمواجِ الممتعَ، أو أرى بهاءَ الشمسِ في الشروقِ وفي الغروبِ. قولي لي يا جدّتي الحبيبةَ: ألا توجدُ وسيلةٌ أصبحُ معها مثلَهم؟»

أجابتْها الجدّةُ: «ستستطيعينَ أن تكوني مثلَهم إذا ما أحبَّكِ إنسانٌ حبًّا عظيمًا يفوقُ حبَّه لوالديه. وعندما يعترفُ مثلُ هذا الرجلِ بأنّه سيحبُّكِ هذا الحبَّ العظيمَ إلى الأبدِ، فإنَّ روحَه سوفَ تسكنُ جسدَكِ في الحالِ. لا سبيلَ إلى أن تكوني منهم إلّا إذا أحبَّكِ إنسانٌ من أهلِ الأرضِ. لكنَّ هذا لن يحدثَ، لأنَّ أهلَ الأرضِ يختلفونَ عنّا: فلهم سيقانٌ يرونَها أجملَ وأفضلَ من ذيولٍ.»

عندئذٍ أطرقتْ عروسُ البحرِ الصغيرةُ في حزنٍ بالغٍ، فقد كانَ جسمُها كجسمِ الفتياتِ من البشرِ، ولكنّها كانتْ بلا ساقينِ، وكانَ الجزءُ الأسفلُ

من جسمها على هيئة ذيل سمكة. ومع ذلك إن فكرت في نفسها. سوف أذهب إلى بيت الساحرة العجوز التي كنت أخشى الذهاب إليها من قبل، فهي التي تستطيع أن تساعدني بوسيلة من وسائلها السحرية.

ذهبت عروس البحر الصغيرة إلى بيت الساحرة. كانت هناك نباتات كثيرة قبيحة تلتف حول منزل الساحرة. وكانت تلك النباتات تمد فروعها الضخمة لاصطياد من يقترب منها. وشعرت الأميرة بخوف شديد عندما رأت من بعيد تلك النباتات المخيفة، تحمل على فروعها جماجم بعض الموتى من ضحاياها. وأرادت أن تعود أدراجها إلى قصر والدها، غير أنها تذكرت الأمير الجميل الذي تحبه، فاستجمعت شجاعتها، وتقدمت إلى بيت الساحرة في خطى ثابتة.

قالت الساحرة لعروس البحر الصغيرة: «أعرف ماذا تريدين. وسوف أعطيك ما تريدين. غير أني أحب أن أنبهك أولا إلى أن تحقيق هذه الرغبة سوف يجلب لك كثيرا من المتاعب. أنت تريدين أن يكون لك ساقان حتى يقع في حبك أمير شاب من سكان الأرض فتصبحي منهم جميعا. سوف أحضر لك شرابا تشربينه بمجرد صعودك إلى سطح الأرض. عندئذ سوف ينشق ذيلك ساقين، ويصبح جسمك مثل أجسام الفتيات من بني البشر تماما. ولكنك ستقاسين آلاما فظيعة بسبب هذا التحول في جسمك. سوف تصبحين فتاة رائعة الجمال بلا ريب. ولكن ساقيك ستؤلمانك كثيرا عند المشي. والآن، هل تريدين أن تصيري مثل أهل الأرض؟»

أجابت عروس البحر الصغيرة: «نعم، أريد ذلك من كل قلبي.»

وأضافت الساحرة العجوز كلامها قائلة: «يجب أيضا أن تذكري أنه بمجرد أن تحدث هذه الأشياء كاملة، لن تستطيعي استعادة هيئة ذيل السمكة في الجزء السفلي من جسمك. ومعنى ذلك أنك لن تعودي أميرة للبحر، ولن ترجعي بحياة مع حورياته في قاع البحر. وإذا رفض الأمير الشاب مفارقة والديه للزواج بك، فستموتين على الفور. وعندئذ سيتحول جسمك إلى ماء يمتزج بمياه البحر، لأن روحا خالدة لم تسكن هذا الجسم!»

قالت عروس البحر الصغيرة: «بالرغم من كل ذلك، فأنا عازمة على أن أصير واحدة من سكان الأرض.»

قالت العجوز: «بقي شيء آخر. أنت الآن تتحدثين وتغنين بصوت عذب جميل، ولكن عندما تصبحين واحدة من أهل الأرض، ستفقدين القدرة على الكلام والغناء.»

تساءلت عروس البحر الصغيرة في قلق: «ولكن كيف أجعل الأمير يحبني إذا لم أستطع الكلام؟»

أجابتها الساحرة: «سوف يجذبه إليك قدك الأهيف الجميل، ومشيتك الرشيقة الجذابة، وعيناك الساحرتان المعبرتان عما تريدين الإفصاح به من معان. فلن يكون عسيرا عليك الإيقاع به في حبك. ولكن قولي لي يا بنيتي، أمصممة أنت على أن أحولك إلى فتاة من البشر؟»

ردت عروس البحر الصغيرة بالإيجاب، فناولتها المرأة العجوز الشراب السحري. وانطلقت به عروس البحر بعيدا، وسرعان ما وصلت إلى قصر والدها الملك.

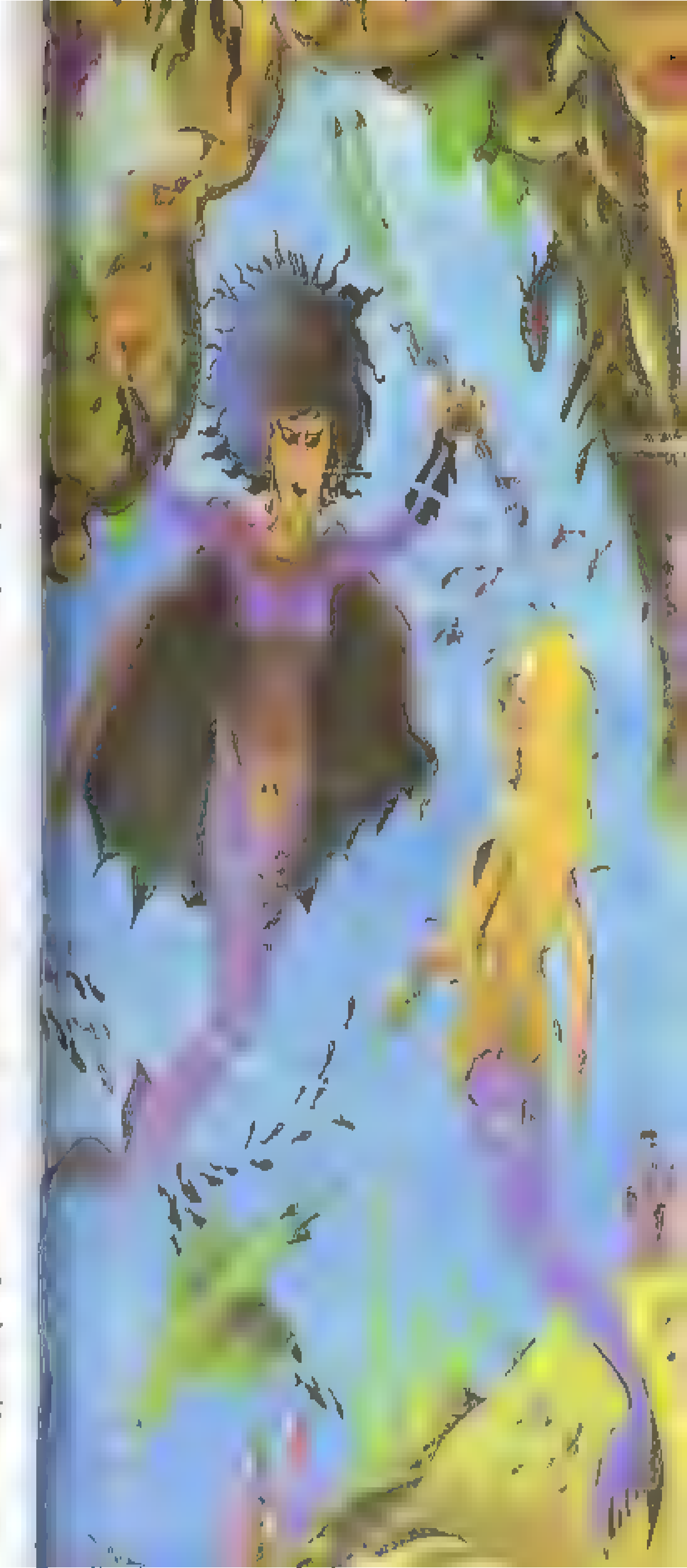
كانَ القصرُ مُظلمًا تمامًا ، وكانَ الجميعُ في داخِلِهِ يغطّونَ في نومٍ عميقٍ ، تردّدتْ عروسُ البحرِ الصغيرةُ في الدخولِ ، إذْ كانتْ قدْ وطّدتِ العزمَ على تركِ القصرِ إلى الأبدِ ، وغشيَها لذلكَ حزنٌ عميقٌ . وسارتْ إلى الحديقةِ الكبيرةِ ، وقطفتْ زهرةً منْ كلِّ حديقةٍ منْ حدائقِ أخواتِها الخاصةِ بالاحتفاظِ بها كتذكارٍ ، ثمَّ أخذتْ تصعدُ رويدًا رويدًا إلى سطحِ الأرضِ

وصلتْ عروسُ البحرِ الصغيرةُ إلى قصرِ الأميرِ الشابِّ قبلَ بزوغِ الفجرِ ، وما إنْ شربتِ الكأسَ حتّى سرى الشرابُ السحريُّ ، وسرعانَ ما سرى الشرابُ في جسمِها ، وأحدثَ بها ألمًا شديدًا ، فسقطتْ على الأرضِ فاقدةَ الوعيِ . وأفاقتْ بعدَ شروقِ الشمسِ ، على آلامٍ مفظعةٍ في ذراعيْها وساقيْها . غيرَ أنّها رأتِ الأميرَ الشابَّ الجميلَ واقفًا إلى جوارِها

سألَها الأميرُ قائلًا : « منْ أنتِ ؟ كيفَ أتيتِ إلى هنا ؟ »

نظرتْ إليهِ بعينيْها الزرقاويْنِ الجميلتيْنِ ، ولكنّها لمْ تقوَ على الكلامِ ، فأمسكَ الأميرُ بذراعيْها ، وقادَها إلى داخلِ القصرِ . وما إنْ مشتْ بضعَ خطواتٍ ، حتّى سرى الألمُ في ساقيْها مرّةً أخرى . وتطلّعَ الجميعُ في إعجابٍ إلى مشيتِها الرشيقةِ ، ولكنّ أحدًا منهمْ لمْ يدرِ شيئًا عنِ الألمِ الشديدِ الذي كانتْ تعانيهِ

أمرَ الأميرُ بإحضارِ ملابسَ فاخرةٍ أنيقةٍ لعروسِ البحرِ الصغيرةِ ، وسرعانَ ما تألّقتْ بجمالِها ورونقِها في القصرِ ، وصارتْ أجملَ منْ فيهِ على الإطلاقِ ، ولكنّها لمْ تستطعِ الكلامَ أوِ الغناءَ ، وقدْ أحزنَها ذلكَ ، إذْ كانتْ تعلمُ أنّ الأميرَ يحبُّ الاستماعَ إلى الغناءِ



وذات صباح فاجأها الأمير بقوله: «لا بد أن تبقي معي على الدوام.»

أسعدها ذلك القول أعظم السعادة. ومنذ ذلك اليوم، لازمته في كل مكان ذهب إليه: في تسلق الجبال، وفي ركوب الجياد داخل الغابة. ومع أن ساقيها كانتا تؤلمانها طول الوقت، فإنها لم تخبر أحدا بذلك، واكتفت بوضعهما كل ليلة في ماء البحر البارد قرب قصر الأمير. وكانت كلما رأت البحر، هفا قلبها إلى أحبائها الساكنين في قاعه.

وبينما كانت تضع قدميها في ماء البحر ذات ليلة، خرجت أخواتها من أعماق البحر، وكن مكتئبات للغاية. ومنذ ذلك الحين، أخذت عرائس البحر الخمس يصعدن إلى سطح الماء كل ليلة. وذات مرة، أحضرن معهن جدتهن العجوز، وأحضرن والدهن ملك البحر في مرة أخرى. غير أن الملك وأمه لم يستطيعا الاقتراب من الأرض بسبب تقدمهما في السن، ولذلك لم يتحدثا إلى عروس البحر الصغيرة.

كان حب الأمير الشاب لعروس البحر الصغيرة يزداد يوما بعد يوم. كان شديد الانبهار بجمالها الرائع، ولكنه لم يفكر أبدا في الزواج بها. أما عروس البحر الصغيرة فكانت تود الاقتران به في أسرع وقت، خشية أن يدهمها الموت.

عندما جلس الأمير بجوارها ذات يوم، قالت له بعينيها الساحرتين:

«هل تحبني أكثر من الأخريات؟»

أجابها الأمير قائلا: «نعم بالتأكيد. إنني أحبك أكثر من أي فتاة عرفتها لأنك رقيقة وطيبة القلب. كما أنك تحبينني جدا. بالإضافة إلى أنك شديدة الشبه بفتاة صغيرة جميلة رأيتها ذات يوم، ولم تفارق خيالي منذ ذلك

الحين: كنت يومئذ على ظهر سفينة تلاعبت بها الأمواج، واندفع الماء إلى داخلها وأغرقها. وقذف بي الموج إلى الشاطئ قريبا من منزل كبير أبيض اللون. وخرجت من المنزل فتيات كثيرات، ورأتني صغراهن، فأنقذتني من الموت. لم أرها إلا مرة واحدة، ولكنني لن أنساها ما حييت!»

قالت عروس البحر الصغيرة لنفسها في حزن شديد: إنه لا يعرف أنني أنا التي أنقذته! لقد حملته من البحر إلى الغابة. ثم انتظرت هناك بعيدا عنه ولم أغادر المكان إلا بعد أن أتت إحدى الفتيات لعناية به. لقد رأيت تلك الفتاة الجميلة التي قامت على خدمته والتي يحبها الآن أكثر مني. لكنه لم ير تلك الفتاة إلا مرة واحدة. وأنا معه كل يوم. سأظل دائما إلى جواره وسوف أضاعف من حبي له، لأجعله أسعد الرجال.

وذات يوم، كان خدم الأمير يتحدثون معا، فسمعت عروس البحر الصغيرة طرفا من الحديث. قال الخدم: «إن الأمير سيتزوج أميرة رائعة الحسن، تعيش في مملكة مجاورة، وإنه سوف يبحر إليها على سفينة فخمة جميلة.»

كانت عروس البحر الصغيرة تعرف حقيقة ما ينوي الأمير أن يفعله. فقد قال لها الأمير في ذلك الصباح: «أنا مجبر على زيارة هذه الأميرة لأن والدي يصران على أن أفعل ذلك. لكنهما لن يجبراني على الزواج بها، لأنني لا أستطيع أن أحبها. فهي لا تشبهك وأنت تشبهين كثيرا تلك الفتاة الفاتنة التي رأيتها في المنزل الأبيض والتي أنقذتني من الموت.»

واقترب الأمير منها وربت على يديها، فأحست عروس البحر الصغيرة بالسعادة.



قال لها، وهو يقف إلى جانبها على ظهر السفينة التي أقلّتهما إلى المملكة المجاورة: «وأنتِ لا تخشين البحر، أليس كذلك؟» ثم أخذ يحدّثها عن البحر، وعن الأسماك التي تعيش تحت الماء، وهو لا يعلم أنها كانت ذات يوم عروس بحر.

وعندما تقدّم الليل، ونام كلّ ركّاب السفينة، جلست عروس البحر الصغيرة وحيدة على سطحها، وأخذت تتطلّع في صمت إلى أعماق المياه الصافية. ولم تلبث أن رأت أخواتها يصعدن إلى سطح الماء.

نظرت عرائس البحر الخمس في حزن إلى أختهنّ الصغرى، ومددن لها

أيديهنّ. ونظرت عروس البحر الصغيرة طويلاً إليهنّ، وأرادت أن تصف لهنّ سعادتها العظيمة بحياتها الجديدة، ولكنّها لم تستطع الكلام.

رست السفينة في الصباح التالي في ميناء الأميرة الجميلة، وخرج الناس للترحيب بالأمير، وانتشر الجنود في الشوارع. وعمّ السرور جميع الناس. ولم تكن الأميرة في المدينة عند وصول الأمير، غير أنها حضرت مسرعة للقائه.

تاقت عروس البحر الصغيرة لرؤية الأميرة الجميلة. ولم تلبث الأميرة أن ظهرت في سحر وبهاء عظيمين. وتعجّبت منها عروس البحر الصغيرة عجبًا شديدًا. ولكن ما إن رآها الأمير الشاب حتى صاح: «إنها هي! إنها نفس الفتاة الجميلة التي أنقذت حياتي!»

قال لعروس البحر الصغيرة: «آه، لكم أنا سعيد. لم أكن أتخيّل أنه من الممكن أن تكون الأميرة هي نفس الفتاة التي أسرعت لإنقاذي من الموت، وأنا ملقى في الماء قرب الشاطئ الأبيض، والتي لم تفارق صورتها خيالي منذ ذلك الحين. وأنتِ يا فتاتي المحبوبة، أعتقد أنك مسرورة مثلي لأنني أعلم أنك تحبّينني كثيرًا، وتتمنّين لي الفرح والسعادة!»

انحنت عروس البحر الصغيرة على يد الأمير وقلبها في حزن شديد. لقد أحسّت في تلك اللحظة كأنّ موتها في زواج الأمير بالأميرة الوصيفة، وأدركت أنّ نهاية حياتها قد اقتربت.

نُفخ في الأبواق إيذانًا بزفاف الأميرة الجميلة إلى الأمير الشاب

ووقفت عروس البحر الصغيرة في حفل الزفاف، إلى جوار العروس الفاتنة
ولكنها لم تر، ولم تسمع شيئًا. كانت واجمة، شاردة الفكر، وكان شبح
الفداء الرهيب يحتل عقلها تمامًا. كانت تترقب الموت، وتعلم أنها لن تبعث
إلى الحياة من جديد، لأن روحًا من روح البشر لم تسكن جسمها!

عاد الأمير مع عروسه إلى السفينة في نفس الليلة. وأضيئت كل الجوانب
والأركان، وأصبح جميع الحاضرين بالغناء، على حين كانت عروس البحر
الصغيرة في حزن شديد. توارت في ركن قصي من السفينة، وأخذت تبكي
وهي تحدث نفسها قائلة: «يا لسوء حظي! لقد قربت من نهايتي، وفقدت
القدرة على الكلام، وامتلأ جسمي بالأوجاع والآلام — كل هذا تضحية
من أجل الأمير الذي أحبه. لكن، للأسف ها هو قد تزوج بفتاة أخرى،
وسوف أموت أنا، في القريب العاجل، موتًا لا بعث منه!»

عندما ذهب الجميع للنوم، جلست بمفردها على سطح المركب
الكبير، تتأمل البحر والسماء لآخر مرة، قبل أن يدركها الموت. وفجأة
رأت أخواتها يخرجن من البحر، وكن شاحبات الوجوه حزينات.

قالت لها الأخوات: «لقد رجونا الساحرة أن تساعدك في محنتك هذه،
فقالت إنه لا سبيل إلى نجاتك إلا بقتل الأمير غدًا قبل شروق الشمس.
وإن فعلت ذلك، أنقذت من الموت، وعندئذ سوف تختفي ساقاك، ويعود
إليك ذيل السمكة مرة أخرى، وتعودين إلى الحياة معنا في أعماق البحر.
هيا أسرعي بقتل هذا الأمير، فنحن في انتظارك في قاع البحر!»

اختفت الأخوات تنغمس في أعماق الماء، وتوجهت عروس البحر

الصغيرة إلى حجرة نوم الأمير، وأخذت تتأمل وجهه طويلًا، ثم قالت
لنفسها: «كلا، لا أستطيع أن أقتله. لا أستطيع قتل الرجل الذي أحبه. إنني
أفضل أن أموت وأفنى على أن أمسه بسوء!» ثم قبلت الأمير النائم في جبينه،
وصعدت إلى سطح السفينة، ووقفت بعد ذلك تتأمل الأمواج المتلاطمة.

قفزت إلى البحر، وأخذت تغوص رويدًا رويدًا تحت سطحه. كانت
الشمس ترتفع وسط السماء، وكانت لا تزال ترى السفينة والسماء تتوهجان
من فوقها، وكانت تدرك أن جسمها سوف يتحول في لحظات إلى قطرات
من الماء تمتزج بمياه البحر. وفجأة سمعت صوت تسبيح آتيًا من الأعالي،
ثم رأت أطياف الملائكة الرائعة تلوح في السماء البعيدة! وما هي إلا برهة
قصيرة حتى اكتسبت جسمًا نورانيًا كأجسام هؤلاء الملائكة، فصعدت
معهم من الماء، وارتفعت عاليًا إلى السماء!

سألت عروس البحر الصغيرة الكوكبة المضيئة التي أحاطت بها من سكان
السماء: «من أنتم؟ إلى أين تأخذونني؟»

أجابت الكوكبة: «نحن أبناء السماء. ليست لنا أرواح كأهل
الأرض، ولكن لا يدركنا الفناء الذي يدرك المخلوقات التي تعيش في قاع
البحر. نحن نخلد على مر الأزمان عن طريق عمل الخير للآخرين. نحن
عباد الله الذين يرسلون الأمطار على الأرض، ويخرجون الأزهار، وينبتونها
من التربة القاحلة. نحن الذين نحمل النور إلى عيون المرضى
والمتألمين، كما نحمل الفرحة إلى قلوب الحزانى والأرامل. نحن ملائكة
الله عز وجل، نأتمر بأمره المقدس، وننفذ مشيئته الصالحة. لا يمكننا
الحصول على أرواح إلا بعمل الخير، ولن نحظى بالخلود إلا بعد أن نقضي

فالأجنحة عمومًا في خدمة الله والبشر. وها أنتِ ذي، يا عروس البحر المسكينة، قد أصبحتِ واحدة منّا. لقد هربتِ من قصر أبيكِ في قاع البحر، بعد أنْ حسبتِ أنّكِ من بني البشر، وقد أصابتكِ الكثير من الآلام والحزن من جرّاء هذا الحبّ. لكن يمكنكِ الآن أن تهبي نفسكِ مثلنا لعمل الخير، وجلب السعادة للآخرين. وبذلك سوف تحصلين على روحٍ خالدة!

مدّت عروس البحر ذراعيها نحو الشمس، ثم تطلّعت إلى أسفل حيث السفينة التي تسير في البحر.

كان الجميع على ظهر السفينة قد استيقظوا من النوم. ورأت عروس البحر الأمير الشاب وعروسه الصغيرة الفاتنة يبحثان عنها في قلق. وخطر للأمير وزوجته أنها ربما تكون قد سقطت في الماء، وأخذا يجولان ببصريهما على صفحة البحر، وقد ارتسم على وجهيهما الحزن العميق. ولم تلبث عروس البحر أن هبطت من العلياء على السفينة، وقبّلت الأمير وزوجته، ثم ارتفعت ثانية إلى السماء، ولم يستطع أحد منهما أن يراها، فقد كانت مكتسية جسدها النوراني الجديد. لقد أصبحت ملاكًا طاهرًا صغيرًا!

قضت عروس البحر الصغيرة سنوات كثيرة في عمل الخير على الأرض، وفي نشر الحبّ والسلام بين الناس. وحين تذكّرت، وهي تسبح في الفضاء الرحب ذات يوم، أنها قربت أن تحصل على روح خالدة، وأن تحيا حياة سعيدة إلى الأبد، في جنّة حافلة بالبهجة والنعيم — في مكان ما من السماء — ما إن تذكّرت ذلك حتى أضاء وجهها بإشراقة رائعة ساحرة، وانتفض كيانها بفرحة عظيمة غامرة، واستأنفت في فرح وحماس، مسيرتها نحو الله

ملابس الإمبراطور

كان يتربّع على عرش إحدى البلاد إمبراطور يهوى اقتناء الملابس الجديدة. وكان يشتري كلّ يوم الجديد منها، وكانت لا تمرّ عليه ساعة من النهار دون أن يبدّل الملابس التي يرتديها. كان يحضر كثيرٌ من الناس لمقابلة هذا الإمبراطور. وذات يوم مثل أمامه رجلان من الكسالى المحتالين.



قال الرجلان: نحن، يا مولاي، خبيران في صنع نوع بديع نادر من القماش، لا نظير له بين سائر الأقمشة. ويبلغ قماشنا هذا حدًّا من البهاء والروعة، يصعب معه رؤيته على معظم الناس، فلا يستطيع أن يراه سوى خاصة الرجال!

حين قال هذا الرجلان فكّر الإمبراطور في نفسه: هذا قماش عجيب حقًّا، وهو جدير بأن أصنع لي منه ملابس كثيرة. وسوف أستطيع، عن طريق ارتداء هذه الملابس، أن أكتشف العظماء في مملكتي من بين سائر شعبي. فالشخص الذي يتمكّن من رؤية هذه الملابس، دون أقرانه،

ويمتدح لي جماله وروعته. فهو رجل عظيم وعبقري بلا ريب. أما من لا يستطيع رؤية هذه الملابس، فلا بد أن يكون غبيًا جاهلًا.

وسرعان ما دفع الإمبراطور مبلغًا كبيرًا من المال لهذين الرجلين الكسولين، قائلًا لهما: «اصنعا لي في الحال قدر ما تستطيعان من هذا القماش العجيب».

انصرف الرجلان ليبدآ العمل في إنجاز ما طلب الإمبراطور. وبعد فترة من الوقت، طالبا الإمبراطور بمزيد من المال، دون أن يقطعا أي شوط في صناعة القماش المزعوم، بل دون أن يعملا أي شيء على الإطلاق.

مرت عدة شهور، دون أن يأتي الرجلان للإمبراطور بالقماش المزعوم. وكان الإمبراطور شديد اللهفة بخصوص على ذلك القماش الجديد، غير أنه خشي الذهاب بنفسه إلى الرجلين، فقد حدث نفسه قائلًا: ماذا إذا لم أتمكن من رؤية هذا القماش؟ وبم أجيب الرجلين في هذه الحال؟ ألن يصبح هذا دليلًا على أنني لست رجلًا عظيمًا متميزًا، وعليه فلن أكون جديرًا بالبقاء على عرش البلاد؟

استدعى الإمبراطور أعظم رجال مملكته، وقال له: «اذهب إلى هذين الرجلين الماهرين وتأمل في القماش الجديد الذي يصنعانه لي، فأنا أريد أن أعرف مدى جمال هذا القماش، ومتى سينتهيان من إعداده».

ذهب الرجل العظيم إلى بيت الرجلين الكسولين الماكرين. كان الرجلان يتظاهران بالعمل في صنع القماش المطلوب، غير أن مبعوث الملك لم ير شيئًا من هذا القماش. سأل الرجل نفسه: ترى ماذا يفعل هذان الرجلان؟

غير أن الرجلين لم يلبثا أن قالا له في اهتمام: «تفضل بالاقتراب منا لو سمحت. ألا يعجبك قماشنا هذا؟ انظر إلى جماله!»

نظر الرجل بدقة، ولكن لم ير شيئًا، إذ لم يكن هناك قماش! فحدث الرجل نفسه قائلًا: ترى ما الذي يجري في هذا المكان؟ لقد كنت متأكدًا أنني من عظماء الرجال وعباقرتهم، ومع ذلك فإنني لا أستطيع أن أرى هذا القماش الغريب! ولكن يجب ألا أخبر الإمبراطور بهذه الحقيقة، كيلا يشك في عبقريتي وموهبتي، ويظن أنني من الأغبياء الجاهلين».

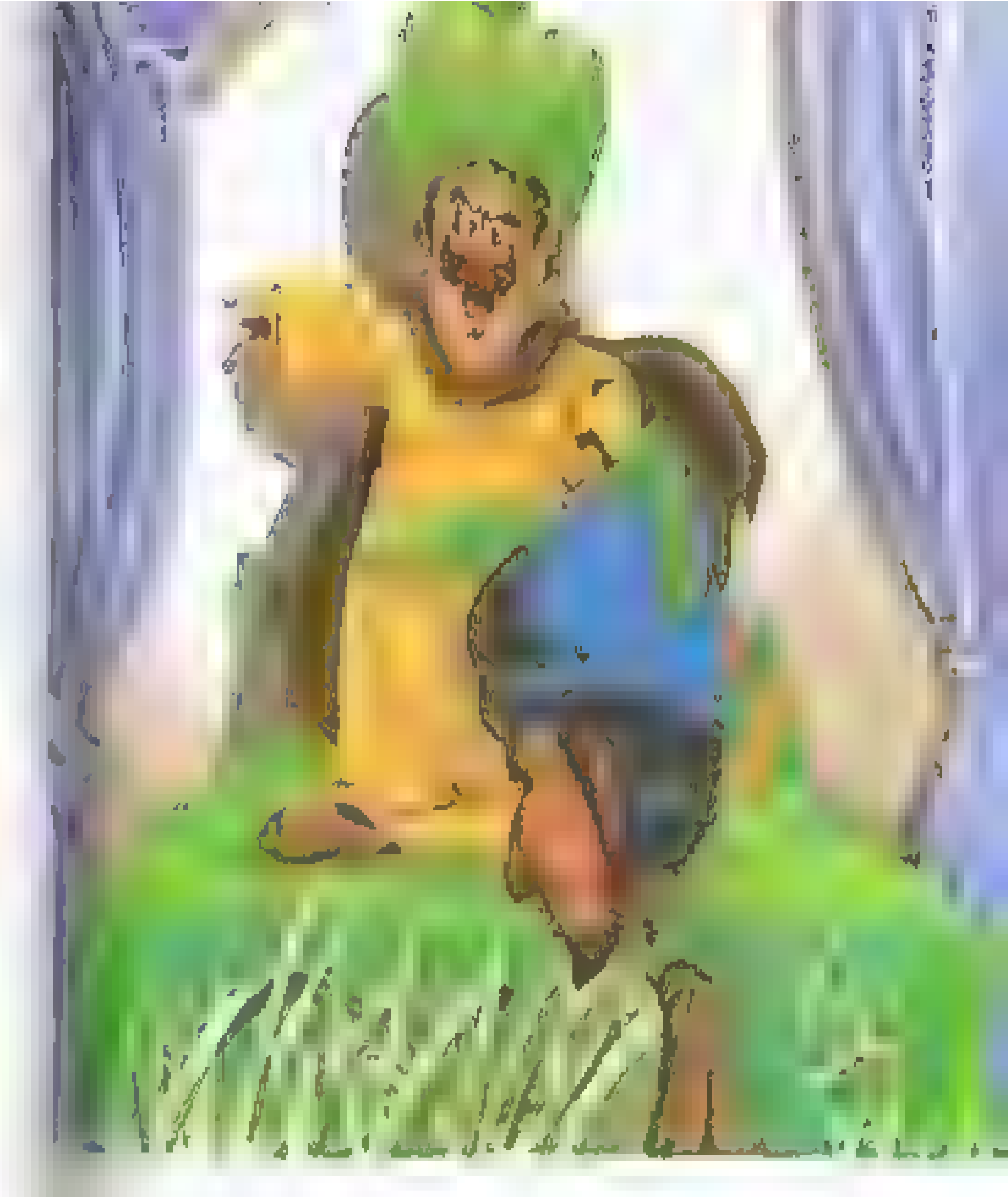
وبادره أحد الرجلين بقوله: «أنت لم تفصح لنا بعد عن إعجابك بقماشنا!»

أجاب الرجل العظيم، وهو شارد الفكر: «حقًا إنه قماش رائع، في الواقع رائع للغاية! سوف أصف جماله وروعته لجلالة الإمبراطور».

شكره الرجلان، وأخذا يصفان له جمال القماش وسحره ولم يكن يشاهد أي شيء.

وحاول الرجل أن يحتفظ في ذهنه بكل ما قيل له عن القماش ليعيده رواية على الإمبراطور. وعندئذ طلب منه الرجلان المحتالان مزيدًا من المال. ولم يلبث الإمبراطور أن أرسل رجلًا آخر من عظماء المملكة إلى الرجلين الكسولين ليعرف منهما موعد إنجاز القماش على وجه التحديد. وذهب الرجل العظيم إلى بيت الرجلين، ولكنه لم ير قماشًا.

سأله أحد الرجلين: «ألا ترى هذا القماش الباهر الجميل؟ لقد أعجب به الرجل العبقري العظيم الذي زارنا من قبلك كل الإعجاب».



قال الرجل لنفسه: لست في الواقع عظيمًا، ولا عبقريًا، غير أن هذا سر أحتفظ به لنفسي، ويجب ألا يطلع عليه سائر الناس.

وهكذا عاد الرجل إلى الإمبراطور، وقال: إن القماش رائع الروعة والجمال يا مولاي. وسرعان ما جعل الناس جميعًا يتحدثون عن ذلك القماش النادر الفريد، ويقولون إنه من الروعة والبهاء بحيث لا يستطيع أن يراه سوى عظماء الناس، أما البسطاء من الناس فقد يتحسرون على عدم تمكنهم من رؤيته، لافتقارهم إلى العظمة والعبقرية.

عزم الإمبراطور على مشاهدة القماش بنفسه، فاصطحب عددًا كبيرًا من عظماء المملكة إلى حيث يقطن الرجلان المحتالان، وهناك

وحين اقترب الركب من هناك، حتى لمحت الإمبراطور فرأى الرجلين يعملان في همة ونشاط.

بادر الرجلان الإمبراطور بسؤاله: أليس القماش جميلاً جدًا يا مولاي؟ نرجوك أن تتفحص بالنظر مدققًا إليه، وسوف ترى نفاسة روعته وجماله. ثم مد أيديهما للإمبراطور، كأنهما يعرضان عليه القماش، مع أن أيديهما كانت خالية تمامًا.

عندما تعذرت على الإمبراطور رؤية القماش المزعوم، ارتعد وتملكته الحيرة، وقال لنفسه في حزن شديد: كيف يحدث لي هذا الأمر؟ أنا لا أستطيع أن أرى هذا القماش الجيد! هذا يدل على أنني لست من الرجال العظماء، وهو نذير شؤم بأنني قد أفقد عرشي عما قريب.

تظاهر الإمبراطور ثانية بين يدي الرجلين الممتدة نحوه، ورغم أنه لم ير شيئًا في تلك الأيدي، فإنه صاح متظاهرًا بالبهجة والسرور: يا له من قماش بديع وجميل للغاية! إنه يروقني كثيرًا.

تطلع جميع العظماء الحاضرين إلى الإمبراطور، ومع أن أحدًا منهم لم ير القماش المزعوم كذلك، فإنهم صاحوا جميعًا في صوت واحد: جميل ورائع! خلاب! أمر الرجلين يا مولاي أن يسرعا في صنع هذا القماش الفريد، فسوف ينبهر جميع الناس بعظمتك وبهائك، حين تسير في شوارع المدينة مرتديًا هذه الملابس الساحرة.

سر الإمبراطور كثيرًا بسماع هذا الكلام، وسرعان ما قدم للرجلين المحتالين مزيدًا من الذهب قائلاً لهما: أسرعا في صنع هذا القماش النادر

الخميس، ولسوف أجعلكما من عظماء المملكة، عمّا قريب.»

لم ينم الرجلان في تلك الليلة، بل أضاءا المصابيح، وبقيا جالسين في غرفتهما طوال الليل، متظاهرين بالعمل الجادّ في صنع الملابس المطلوبة منهما. وما إن طلع الصباح، حتى صاحا قائلين: «لقد أتممنا صنع الملابس الجديدة للإمبراطور.»

أتى الإمبراطور إلى الرجلين، على رأس موكب يضمّ كلّ عظماء الدولة، ومدّ الرجلان أيديهما إلى الإمبراطور، وظنّ الجميع أنّهما يعرضان عليه الملابس الجديدة.

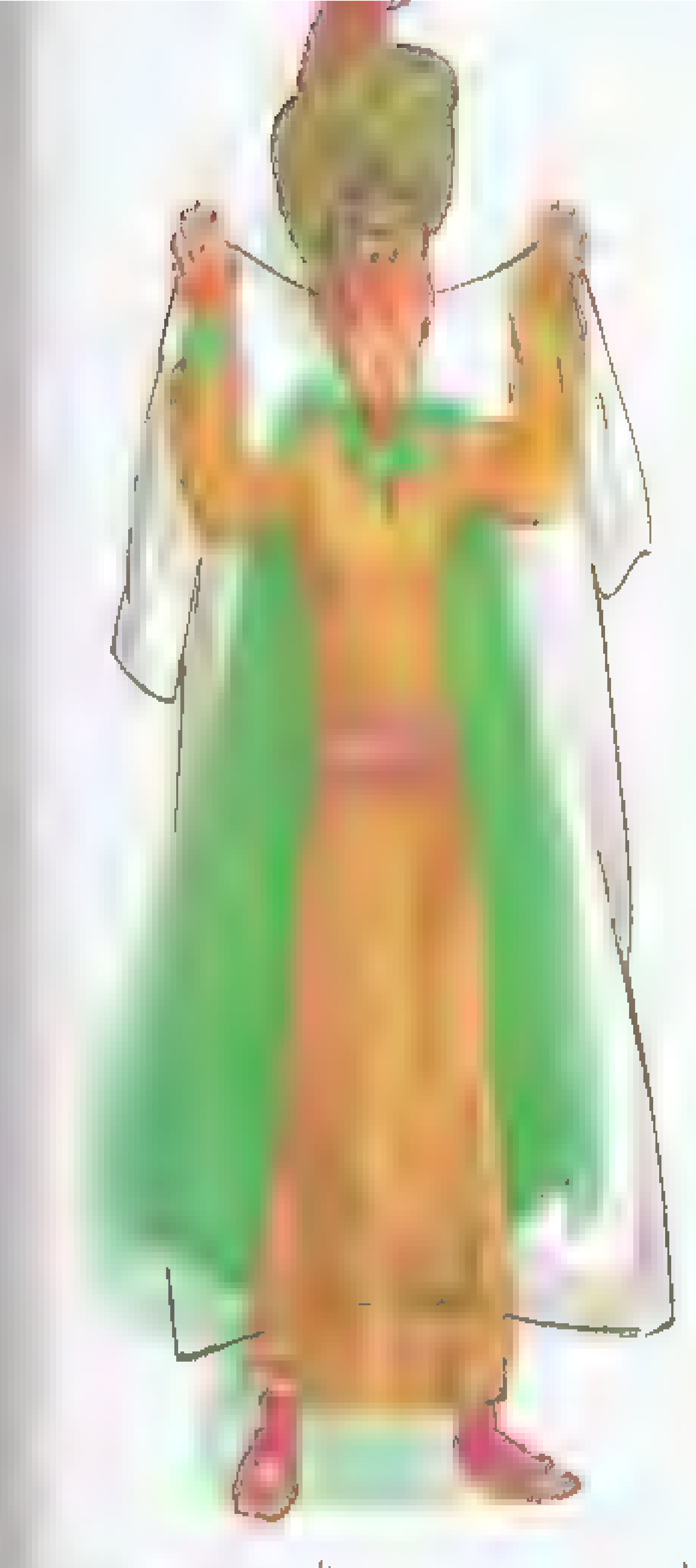
قال الرجلان المحتالان: «هذه ملابسك الجديدة، يا مولانا. وعندما ترتدي هذه الملابس، سوف تحسّ كأنّك لا تلبس شيئًا على الإطلاق. ولكنّ هذه الخاصّيّة الفريدة هي التي تميّز قماشنا عن سائر الأقمشة، والتي تدفع الناس إلى شرائه بثمن مرتفع جدًّا!»

ورغم أنّ أحدًا من المرافقين للإمبراطور لم ير شيئًا من تلك الملابس المزعومة فإنّهم سارعوا يقولون: «جميل، جميل، يا مولانا!»

عندئذ تقدّم الرجلان من الإمبراطور قائلين: «تفضّل بخلع ملابسك، إذا سمحت، حتى تلبس الملابس الجديدة، ونتأكّد من ملاءمة مقاساتها لقوامك يا مولانا!»

وهكذا اضطرّ الإمبراطور لخلع الملابس التي كان يرتديها، وأخذ الرجلان المحتالان يحرّكان أذرعهما في الفضاء، ويسيران من أمام الإمبراطور ومن خلفه، ويأتيان من الحركات الخادعة ما يوحي بأنّهما





يُلْبِسانِهِ الْمَلابِسَ الْجَديدَةَ. وَجازَتِ الْحيلَةُ عَلى جَميعِ الْعُظَماءِ الْحاضِرينَ، فَظَنّوا أَنَّ الرَّجُلَيْنِ قَدْ أَلْبَسا الْإِمْبَراطورَ مَلابِسَهُ الْجَديدَةَ بِمَهارَةٍ

صاحَ كُلُّ واحِدٍ مِنَ الْواقِفينَ: «كَمْ تَبْدو أَنيقًا في مَلابِسِكَ الْجَديدَةِ.

يا مَوْلايَ، إِنَّها مُناسِبَةٌ لَكَ تَمامًا! إِنَّها، وَلا شَكَّ، مَلابِسُ جَديرَةٌ بِأَنْ يَرْتَديها الْأَباطِرَةُ!»

وَواصَلَ الرَّجُلانِ قَوْلَهُما: «نَحْنُ في انْتِظارِ جَلالَتِكُمْ مَعَ رِجالِ الْحاشِيَةِ، حَتّى نَسيرَ جَميعًا في مَوْكِبِكَ الْعَظيمِ.»

أَجابَ الْإِمْبَراطورُ: «إِنَّها مُناسِبَةٌ تَمامًا.» ثُمَّ نَظَرَ إِلى صورَتِهِ في الْمِرْآةِ، وَأَضافَ قائِلًا: «هذِهِ الْمَلابِسُ الْجَديدَةُ جَميلَةٌ وَرائِعَةٌ لِلْغايَةِ، تُناسِبُني تَمامًا في الطّولِ وَفي الِاتِّساعِ.»

سارَ الرَّكْبُ، يَتَقَدَّمُهُ الْإِمْبَراطورُ، في شَوارِعِ الْمَدينَةِ. وَصاحَ الْواقِفونَ عَلى جانِبَيِ الطَّريقِ، وَالْمُشاهِدونَ مِنْ نَوافِذِ الْمَنازِلِ وَسُطوحِها قائِلينَ: «يا لَجَمالِ الْمَلابِسِ الْجَديدَةِ الَّتي يَرْتَديها الْإِمْبَراطورُ!»

لَمْ يُرِدْ أَحَدٌ أَنْ يَعْتَرِفَ - حَتّى لِنَفْسِهِ - بِأَنَّهُ لا يَرى شَيْئًا مِنْ هذِهِ الْمَلابِسِ الْمَزْعومَةِ، خَشْيَةَ أَنْ يُقالَ إِنَّهُ لَيْسَ عَبْقَرِيًّا عَظيمًا. كانَ كُلُّ فَرْدٍ مِنْ جَماهيرِ الْمُشاهِدينَ يُريدُ أَنْ يَبْدوَ لِلْآخَرينَ كَأَنَّهُ عَظيمٌ وَمَوْهوبٌ. غَيْرَ أَنَّ طِفْلًا صَغيرًا بَريئًا لَمْ يَلْبَثْ أَنْ صاحَ قائِلًا: «وَلكِنَّ الْإِمْبَراطورَ لا يَرْتَدي شَيْئًا عَلى الْإِطْلاقِ!»

رَدَّدَ الْأَبُ ما قالَهُ طِفْلُهُ الصَّغيرُ لِلرَّجُلِ الْواقِفِ إِلى جانِبِهِ. وَسُرْعانَ ما تَنَقَّلَتْ هذِهِ الْحَقيقَةُ مِنْ فَمٍ إِلى آخَرَ، وَانْتَشَرَتْ بَيْنَ الْجُموعِ الْمُتَراصَّةِ.

أَخيرًا صاحَ جَميعُ النّاسِ صَيْحَةً واحِدَةً: «وَلكِنَّ الْإِمْبَراطورَ لا يَرْتَدي شَيْئًا عَلى الْإِطْلاقِ!»

اغْتاظَ الْإِمْبَراطُورُ كَثيرًا، إِذْ كانَ النّاسُ عَلى حَقٍّ في ذلِكَ. غَيْرَ أَنَّهُ كانَ مُضْطَرًّا إِلى مُواصَلَةِ السَّيْرِ، عَبْرَ الشَّوارِعِ الْمُكْتَظَّةِ بِالنّاسِ، وَهُوَ في مَلابِسِهِ الشَّحيحَةِ وَسارَ خَلْفَهُ الْعُظَماءُ، وَرِجالُ الْحاشِيَةِ، وَالْخَدَمُ، وَهُمْ يُدَقِّقونَ النَّظَرَ مُحاوِلينَ أَنْ يَرَوْا مَلابِسَهُ الْوَهْمِيَّةَ الْجَديدَةَ



عُقْلَةُ ٱلإِصْبَعِ

يُحْكَى أَنَّهُ كَانَتْ هُنَاكَ ٱمْرَأَةٌ تَوَدُّ أَنْ يَكُونَ لَهَا طِفْلٌ صَغِيرٌ ، وَعَجَزَتْ عَنْ تَحْقِيقِ رَغْبَتِهَا ، فَاضْطُرَّتْ آخِرَ ٱلأَمْرِ لِلُّجُوءِ إِلَى سَاحِرَةٍ عَجُوزٍ .

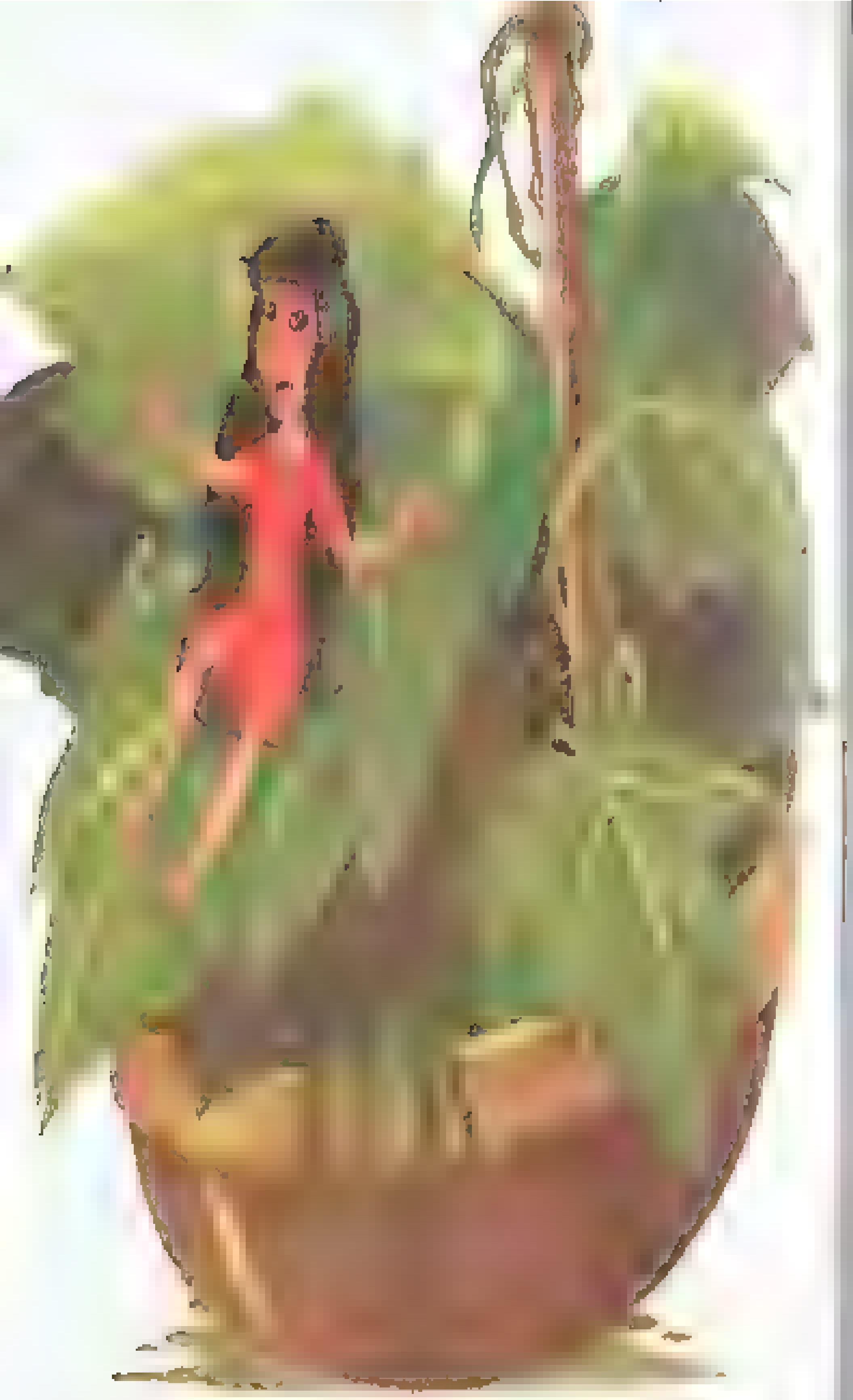
قَالَتِ ٱلْمَرْأَةُ لِلسَّاحِرَةِ : « كَمْ أَوَدُّ أَنْ يَكُونَ لِي طِفْلٌ صَغِيرٌ . هَلْ فِي إِمْكَانِكِ أَنْ تُيَسِّرِي لِي سَبِيلاً إِلَى ذَلِكَ ؟ »

أَجَابَتِ ٱلسَّاحِرَةُ : « هٰذَا أَمْرٌ سَهْلٌ لِلْغَايَةِ . إِلَيْكِ بَعْضَ ٱلأَعْشَابِ ٱلسِّحْرِيَّةِ . اِزْرَعِيهَا فِي إِنَاءٍ فَخَّارِيٍّ صَغِيرٍ ، ثُمَّ ٱنْتَظِرِي . »

أَخَذَتِ ٱلْمَرْأَةُ ٱلأَعْشَابَ إِلَى مَنْزِلِهَا ، وَزَرَعَتْهَا فِي إِنَاءٍ مِنَ ٱلْفَخَّارِ ، وَسُرْعَانَ مَا ٱنْبَثَقَتْ مِنَ ٱلإِنَاءِ زَهْرَةٌ جَمِيلَةٌ بَدِيعَةٌ .

صَاحَتِ ٱلْمَرْأَةُ فِي دَهْشَةٍ بَالِغَةٍ : « يَا لَهَا مِنْ زَهْرَةٍ جَمِيلَةٍ رَائِعَةٍ ! » ثُمَّ ٱنْحَنَتْ عَلَيْهَا وَقَبَّلَتْهَا . وَمَا إِنْ قَبَّلَتِ ٱلْمَرْأَةُ ٱلزَّهْرَةَ حَتَّى تَفَتَّحَتْ ، وَظَهَرَتْ بَيْنَ أَوْرَاقِهَا فَتَاةٌ صَغِيرَةٌ جَالِسَةٌ . كَانَتْ فَتَاةً رَائِعَةَ ٱلْحُسْنِ ، غَيْرَ أَنَّهَا كَانَتْ صَغِيرَةَ ٱلْحَجْمِ ، وَدَقِيقَةَ ٱلْجِسْمِ لِلْغَايَةِ . كَانَتْ أَصْغَرَ مِنْ إِبْهَامِ ٱلْيَدِ ؛ وَلِهٰذَا فَقَدْ سُمِّيَتْ عُقْلَةَ ٱلإِصْبَعِ .

سَارَتْ عُقْلَةُ ٱلإِصْبَعِ فَوْقَ مِنْضَدَةِ ٱلْمَرْأَةِ . وَكَانَ هُنَاكَ إِنَاءٌ آخَرُ مَلِيءٌ بِٱلزَّهْرِ مَمْلُوءٌ بِٱلْمَاءِ ، وَتَسْبَحُ فِيهِ وَرْدَةٌ نَاضِرَةٌ . وَذَاتَ يَوْمٍ سَقَطَتْ وَرَقَةٌ مِنْ أَوْرَاقِ ٱلْوَرْدَةِ فِي مَاءِ ٱلإِنَاءِ . وَسُرْعَانَ مَا قَفَزَتْ عُقْلَةُ ٱلإِصْبَعِ فَوْقَ ٱلْوَرَقَةِ ، وَسَارَتْ بِهَا فَوْقَ ٱلْمَاءِ مِثْلَ زَوْرَقٍ . وَكَانَتْ عُقْلَةُ ٱلإِصْبَعِ ٱلْجَمِيلَةُ تُغَنِّي أُغْنِيَاتٍ عَذْبَةً .



وَذَاتَ لَيْلَةٍ ، دَخَلَتِ ٱلْحُجْرَةَ ضُفْدَعٌ عَجُوزٌ عَنْ طَرِيقِ ٱلنَّافِذَةِ ٱلْمَفْتُوحَةِ ، وَكَانَتْ عُقْلَةُ ٱلإِصْبَعِ نَائِمَةً . كَانَتِ ٱلضُّفْدَعُ كَبِيرَةَ ٱلْحَجْمِ وَقَبِيحَةَ ٱلشَّكْلِ لِلْغَايَةِ . وَقَفَزَتْ إِلَى ٱلْمِنْضَدَةِ حَيْثُ كَانَتْ عُقْلَةُ ٱلإِصْبَعِ نَائِمَةً فَوْقَ وَرَقَةٍ مِنْ أَوْرَاقِ ٱلْوَرْدَةِ .

قَالَتِ ٱلضُّفْدَعُ لِنَفْسِهَا : « إِنَّ ٱبْنِي جَدِيرٌ بِأَنْ يَتَزَوَّجَ بِهٰذِهِ ٱلْبِنْتِ ٱلْجَمِيلَةِ . »

فخطفت الضفدع ورقة الورد التي كانت تنام عليها عقلة الإصبع، وقفزت بها من النافذة إلى الحديقة.

كان هناك نهر صغير يجري في الحديقة، وكانت الضفدع وابنها يعيشان بين الحشائش الطويلة الممتدة على جانب النهر.

كان الضفدع قبيح الشكل مثل أمه. وما إن رأى عقلة الإصبع الجميلة حتى أخذ ينق نقيقًا مزعجًا.

قالت الضفدع لابنها: «لا ترفع صوتك، وإلا استيقظت الفتاة الصغيرة وفرت مذعورة. هيا نضعها في ماء النهر فوق هذه الورقة، لنطمئن إلى أنها لن تتمكن من الهرب.»

وعندما استيقظت عقلة الإصبع في الصباح التالي، وجدت نفسها وسط نهر كبير، تبعد فيه كثيرًا عن شاطئيه. وصرخت الطفلة بفزع شديد؛ فأسرعت إليها الضفدع الأم بصحبة ابنها القبيح الشكل.

قالت الضفدع لعقلة الإصبع: «ستتزوجين بابني، وستعيشان معًا في سعادة على ضفة هذا النهر.» أما الضفدع الابن فلم ينطق بشيء، فهو لا يحسن إلا النقيق المزعج.

بكت عقلة الإصبع المسكينة طويلًا، لأنها لا ترغب في العيش في بيت الضفدع القبيحة الشكل. وسمعت صوت نحيبها الأسماك الصغيرة التي تعيش تحت الماء، فصعدت إلى سطح النهر، وأخذت تتطلع إلى الفتاة، فرقت قلوبها لها، ومدت أفواهها إلى ورقة الوردة وأمسكت بها، ثم

جذبتها إلى أسفل لتغوص الورقة سريعًا تحت الماء، إلى حيث لا تستطيع الضفدع الوصول.

رأى خنفس كبير عقلة الإصبع، وهي تهبط على الورقة تحت الماء، فأمسكها ثم صعد بها فوق إحدى الأشجار. وفزعت عقلة الإصبع حينئذ فزعًا شديدًا، غير أن الخنفس لم يلبث أن جلس على أصغر ورقة من أوراق الشجرة، وقدم لها أزهارًا حلوة المذاق لتأكلها.

قال لها الخنفس: «إنك لا تشبهين الخنفساء على الإطلاق. وأنت جميلة وحلوة للغاية.» وسرعان ما تجمعت كل الخنافس لرؤية عقلة الإصبع الصغيرة المسكينة.

قالت الخنافس في وقت واحد: «إنها لا تملك إلا ساقين اثنتين! ما أقبح شكلها! إنها تشبه فتاة صغيرة!»

وهكذا أجمعت كل الخنافس على أن عقلة الإصبع مخلوقة قبيحة الشكل، حتى الخنفس الكبير يعتقد أنها كذلك فعلًا. ولم يلبث أن حملها إلى أسفل الشجرة، ووضعها فوق إحدى الأزهار. وبكت عقلة الإصبع المسكينة كثيرًا لقولهم إنها قبيحة الشكل، بالرغم من أنها كانت رائعة الجمال.

عاشت عقلة الإصبع المسكينة مدة طويلة بمفردها في الغابة الواسعة. كانت تعتمد في معيشتها على نفسها فحسب، فصنعت لنفسها فرشًا من الأعشاب، وغطته بورقة كبيرة، كي يكون صالحًا للنوم عليه إذا سقط المطر. ولكن الجو لم يلبث أن تغير وأصبح مائلًا للبرودة، وأخذت الطيور تهاجر إلى بلاد أخرى أكثر دفئًا، وبدأت الزهور تذبل وتموت

وَاشْتَدَّ ٱلْبَرْدُ، وَتَسَاقَطَتِ ٱلثُّلُوجُ، وَغَطَّتْ أَرْضَ ٱلْغَابَةِ، وَعَانَتْ عُقْلَةُ ٱلإِصْبَعِ كَثِيرًا مِنَ ٱلْبَرْدِ ٱلْقَارِسِ.

مَشَتْ عُقْلَةُ ٱلإِصْبَعِ فِي حَقْلٍ كَبِيرٍ، يَقَعُ عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنَ ٱلْغَابَةِ، وَكَانَتْ حَشَائِشُ ٱلْحَقْلِ تَعْلُو رَأْسَهَا ٱلصَّغِيرَ، وَتَحْجُبُهُ عَنِ ٱلأَنْظَارِ. وَلَمْ تَلْبَثْ أَنْ وَصَلَتْ إِلَى بَابِ جُحْرٍ لِفَأْرَةِ ٱلْحَقْلِ. وَكَانَ جُحْرًا صَغِيرًا مُحْكَمًا صَنَعَتْهُ ٱلْفَأْرَةُ بِنَفْسِهَا فِي بَاطِنِ ٱلأَرْضِ. وَوَقَفَتْ عُقْلَةُ ٱلإِصْبَعِ عِنْدَ ٱلْبَابِ كَشَحَّاذَةٍ فَقِيرَةٍ لَا تَمْلِكُ مَالًا أَوْ طَعَامًا.

قَالَتْ لَهَا فَأْرَةُ ٱلْحَقْلِ: «مَرْحَبًا بِكِ، أَيَّتُهَا ٱلْفَتَاةُ ٱلصَّغِيرَةُ ٱلْمِسْكِينَةُ، ٱدْخُلِي إِلَى مَنْزِلِي لِتَتَنَاوَلِي بَعْضَ ٱلطَّعَامِ».

سُرَّتْ فَأْرَةُ ٱلْحَقْلِ بِعُقْلَةِ ٱلإِصْبَعِ، وَقَالَتْ لَهَا: «يُمْكِنُكِ أَنْ تَقْضِي مَعِي أَيَّامَ ٱلشِّتَاءِ ٱلْبَارِدَةَ، عَلَى أَنْ تَقُصِّي لِي حِكَايَاتٍ كَثِيرَةً، فَأَنَا أَهْوَى ٱلْقِصَصَ جِدًّا».

وَنَفَّذَتْ عُقْلَةُ ٱلإِصْبَعِ وَعْدَهَا، مَا طَلَبَتْهُ مِنْهَا فَأْرَةُ ٱلْحَقْلِ. وَذَاتَ يَوْمٍ قَالَتْ لَهَا فَأْرَةُ ٱلْحَقْلِ: «سَيَحْضُرُ لِزِيَارَتِي أَحَدُ ٱلأَصْدِقَاءِ، إِنَّهُ غَنِيٌّ جِدًّا، وَيَمْتَلِكُ مَنْزِلًا كَبِيرًا دَافِئًا، وَسَوْفَ تَكُونِينَ سَعِيدَةً مَعَهُ، إِذَا مَا تَزَوَّجْتِ بِهَذَا ٱلصَّدِيقِ».

لَمْ تُرِدْ عُقْلَةُ ٱلإِصْبَعِ ٱلزَّوَاجَ بِصَدِيقِ فَأْرَةِ ٱلْحَقْلِ، فَقَدْ كَانَ صَدِيقُهَا هَذَا خُلْدًا ضَخْمَ ٱلْجُثَّةِ، وَٱلْخُلْدُ حَيَوَانٌ شَبِيهٌ بِٱلْفَأْرِ.

قَالَتْ فَأْرَةُ ٱلْحَقْلِ لِعُقْلَةِ ٱلإِصْبَعِ: «إِنَّ صَدِيقِي ٱلْخُلْدَ غَنِيٌّ جِدًّا، وَهُوَ يَعْرِفُ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً لَا نَعْرِفُهَا نَحْنُ، لَكِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلشَّمْسَ وَٱلأَزْهَارَ ٱلْجَمِيلَةَ



ٱلَّتِي لَا يَرَاهَا، لِأَنَّهُ يَهْوَى ٱلْحَيَاةَ فِي بَاطِنِ ٱلأَرْضِ».

أَتَى ٱلْخُلْدُ إِلَى بَيْتِ فَأْرَةِ ٱلْحَقْلِ، وَرَأَى عُقْلَةَ ٱلإِصْبَعِ، فَطَلَبَ مِنْهَا أَنْ تُغَنِّيَ لَهُ، وَمَا إِنْ سَمِعَ غِنَاءَهَا حَتَّى أَحَبَّهَا، لَكِنَّهُ لَمْ يَتَكَلَّمْ، إِذْ كَانَ قَلِيلَ ٱلْكَلَامِ.

كَانَ ٱلْخُلْدُ يَعِيشُ فِي جُحْرٍ فِي بَاطِنِ ٱلأَرْضِ، وَسُرْعَانَ مَا حَفَرَ طَرِيقًا صَغِيرًا يَصِلُ مَا بَيْنَ جُحْرِهِ وَبَيْتِ فَأْرَةِ ٱلْحَقْلِ. وَبَيْنَمَا كَانَتْ عُقْلَةُ ٱلإِصْبَعِ تَسِيرُ مَعَ صَدِيقَتِهَا فَأْرَةِ ٱلْحَقْلِ فِي هَذَا ٱلطَّرِيقِ ذَاتَ يَوْمٍ، وَقَعَ بَصَرُهَا عَلَى طَائِرٍ صَغِيرٍ مُلْقًى فِي حُفْرَةٍ بِٱلْقُرْبِ مِنْ جُحْرِ ٱلْخُلْدِ.

قَالَتْ عُقْلَةُ ٱلإِصْبَعِ فِي حُزْنٍ بَالِغٍ: «لَقَدْ مَاتَ ٱلطَّائِرُ ٱلْمِسْكِينُ مِنْ شِدَّةِ ٱلْبَرْدِ». وَٱنْحَدَرَتِ ٱلدُّمُوعُ عَلَى وَجْنَتَيْهَا، فَقَدْ كَانَتْ تُحِبُّ ٱلطُّيُورَ ٱلصَّغِيرَةَ.

عندئذ قال الخلد: «أنا لا أحب أن أكون طائرًا، فأنا أفضل صريخ الفئران على زقزقة العصافير وتغريد الكروان. كما أن الطيور المحلقة في الجو لا تلبث أن تسقط ميتة على الأرض، حين يلفحها البرد القارس.»

صمتت عقلة الإصبع، ولكن ما إن انصرف الخلد وفأرة الحقل، حتى انحنت على الطائر الصغير، وقبلته عدة مرات. ولم تنم عقلة الإصبع تلك الليلة، وغادرت فراشها مبكرة وجمعت بعض الحشائش وذهبت إلى حيث يرقد الطائر وغطت جسمه بالحشائش، ثم رفعت رأسه عن الأرض، وإذا بالطائر يفتح عينيه. كان حيًا.

وفي الليلة التالية، خرجت عقلة الإصبع من جحرها، وتوجهت ثانية لزيارة طائرها المريض. كان الطائر ما زال على قيد الحياة، ولكنه لم يكن قادرًا على الحركة. ونظر الطائر إلى عقلة الإصبع نظرة حانية تفيض بالحب والاعتراف بالجميل.

وقال الطائر للفتاة الصغيرة: «شكرًا لك من كل قلبي، أيتها الفتاة العطوف. أنا لا أحس الآن بالبرد، وسوف أستطيع النهوض والتحليق في السماء مرة أخرى.»

أجابت الفتاة: «لا! إن الجو في الخارج شديد البرودة، كما إن الثلوج تتساقط بشدة. ابق هنا في فراشك، وسوف أحضر لك ما تحتاجه من طعام وشراب.»

بقي الطائر الجميل عدة أيام في رعاية عقلة الإصبع، التي كانت تأتي له بالماء وكسر الخبز. ولم تخبر الفتاة فأرة الحقل أو الخلد بشيء عن هذا

الطائر. وما إن انكسرت حدة البرد، وعاودت الشمس الإشراق، حتى كان الطائر قد شفي تمامًا.

قال الطائر لعقلة الإصبع: «انظري إلى الشمس الدافئة. هيا نطلق معًا. يمكنك الجلوس على ظهري، وسوف أطير بك بعيدًا في الغابة.»

قالت عقلة الإصبع: «لا! لا أستطيع ذلك يا عزيزي! فإن فأرة الحقل سوف تحزن كثيرًا لفراقي!»

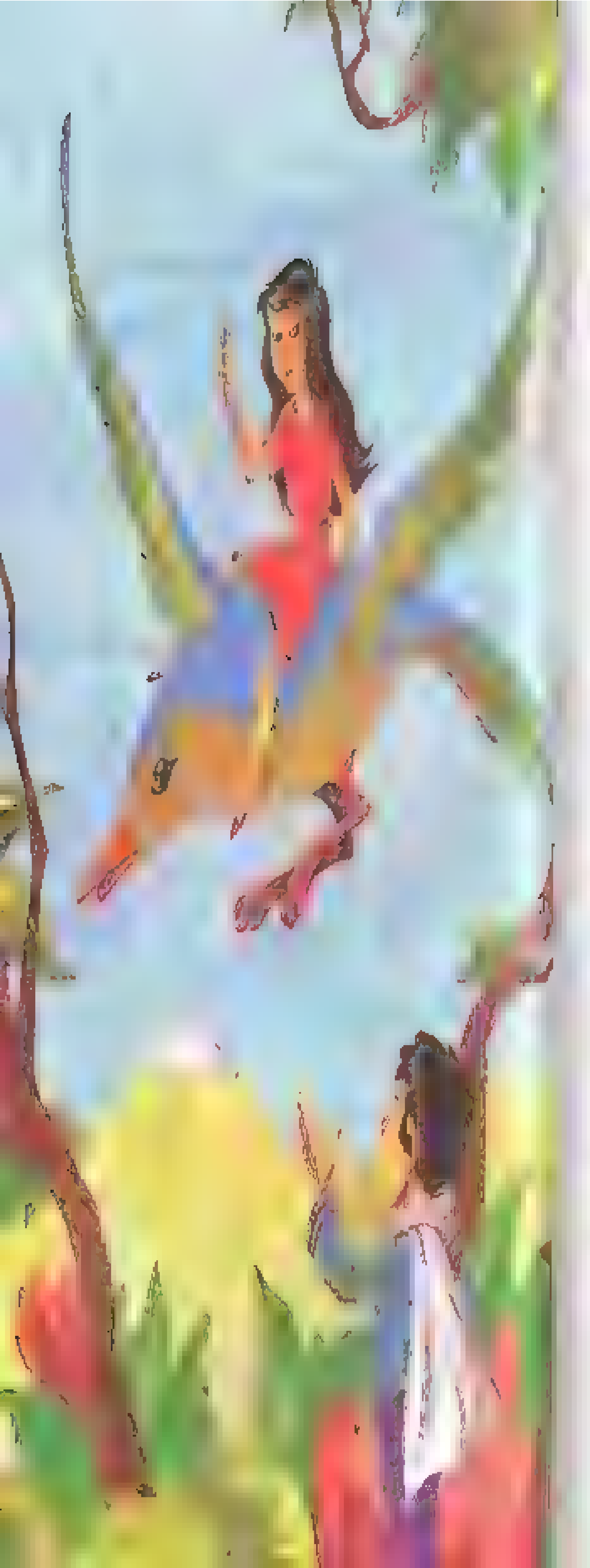
قال الطائر: «وداعًا إذن. وداعًا، أيتها الفتاة الطيبة الجميلة!» ثم حلق عاليًا في الفضاء الرحيب. حدقت عقلة الإصبع طويلًا في الطائر المحلق، وعندما اختفى عن بصرها بكت، فقد أحبته كثيرًا.

قالت فأرة الحقل لعقلة الإصبع: «سوف أزوجك قريبًا، يا عزيزتي، فالخلد يريد الزواج بك. يا لحظك السعيد! يجب أن تبدئي في إعداد ملابس كثيرة وأنيقة لهذا الزواج.»

أخذت عقلة الإصبع تعمل بجد ونشاط في إعداد ملابسها الجميلة. وكان الخلد يأتي كل ليلة ليراها. وقال لها ذات يوم: «سوف نتزوج قريبًا، يا عزيزتي، قبل أن تهبط حرارة الجو.»

كانت عقلة الإصبع تخرج من جحرها كل صباح، لتنظر بفرح إلى الشمس الساطعة في السماء وهي تنشر أشعتها على وجه الأرض. وكانت تود رؤية الطائر الصغير الجميل، ولكنه لم يعد.

وذات صباح قالت لفأرة الحقل: «لا أريد الزواج بصديقك الخلد.»



حزنت الفأرة العجوز: «ستروحينه بعد غد» ثم تمضي، لتستقبل عقلة الإصبع الشابة البيضاء القرصة إلى الخلد مخلوق عجيب، وسيدة عماه وقبره مظلمة!

جاء الخلد للزواج بعقلة الإصبع وقال لها، والسرور يبدو على وجهه: «ستعيشين معي من اليوم في جحري الخاص بعيدًا عن أشعة الشمس!»

حزنت عقلة الإصبع حزنًا شديدًا، ومشت بضع خطوات بعيدًا عن جحر الخلد، ثم مدّت ذراعيها نحو الشمس، وقالت وهي تبكي: «وداعًا أيتها الشمس وداعًا! إذا ما رأيتِ طائري العزيز ذات يوم فأخبريه بكلّ ما جرى لي» ... الطائر الجميل قد نزل من السماء، وفرح كثيرًا عندما رأى عقلة الإصبع.

صاحت عقلة الإصبع عندما رأته: «لا أريد الزواج بالخلد القبيح السكّير. فأنا لا أستطيع العيش في حفرة في باطن الأرض، بعيدًا عن الشمس المحبوبة الدافئة!»

أجابها الطائر قائلاً: «إنّ الأيام الباردة توشك أن تحلّ، وسوف أهاجر إلى بلاد بعيدة أكثر دفئًا. هلّا أتيتِ معي، أيتها الصغيرة الحسناء؟ يمكنكِ الجلوس على ظهري، وعندئذ سوف نضرب بعيدًا عن هذا الخلد القبيح. سوف نحلّق بعيدًا جدًا فوق التلال والبحار، ونذهب إلى بلاد بهيجة مشرقة، تزخر بالنباتات والأزهار الجميلة!»

قالت عقلة الإصبع على الفور: «نعم، سآتي معك!» وركبت فوق

ظَهْرِ الطّائِرِ ، وَثَبَّتَتْ قَدَمَيْها الصَّغيرَتَيْنِ حَوْلَ جَناحَيْهِ ، وَحَلَّقَ الطّائِرُ في الفَضاءِ الرَّحْبِ . وَعَبَرَ بِها الغاباتِ وَالبِحارَ وَالجِبالَ الشّاهِقَةَ المُغَطّاةَ بِالثُّلوجِ . وَفي خِتامِ الرِّحْلَةِ وَصَلا إلى جَزيرَةٍ نائِيَةٍ مُشْمِسَةٍ ، لا تَعْرِفُ بَرْدَ الشِّتاءِ القارِسَ . كانَتِ الأَشْجارُ ، في تِلْكَ الجَزيرَةِ ، مَمْلوءَةً بِالفَواكِهِ ، وَكانَتِ الأَزْهارُ البَديعَةُ تَتَراقَصُ عَلى جَوانِبِ الطُّرُقِ وَالمَسالِكِ . وَعَلى ضِفَّتَيْ نَهْرٍ رائِقٍ صافٍ ، تَنْمو أَشْجارٌ باسِقَةٌ خَلّابَةٌ كانَ أَطْفالُ الجَزيرَةِ يَمْرَحونَ في سَعادَةٍ في ظِلالِها .

قالَ الطّائِرُ لِعُقْلَةِ الإصْبَعِ : « عُشّي هُناكَ فَوْقَ إحْدَى هٰذِهِ الأَشْجارِ العالِيَةِ الجَميلَةِ ، وَلٰكِنَّكِ إذا عِشْتِ فيهِ ، فَلَنْ تَكوني سَعيدَةً . تَأَمَّلي تِلْكَ الأَزْهارَ الجَميلَةَ ، وَاخْتاري مِنْها واحِدَةً لِأَضَعَكِ عَلَيْها . »

وَلَمْ يَلْبَثِ الطّائِرُ أَنْ هَبَطَ بِها نَحْوَ الأَرْضِ ، وَوَضَعَها في رِقَّةٍ بالِغَةٍ فَوْقَ إحْدَى وَرَقاتِ زَهْرَةٍ بَيْضاءَ . وَكانَتِ الزَّهْرَةُ تُخْفي في داخِلِها فَتًى دَقيقَ الجِسْمِ مِثْلَها .

وَسُرْعانَ ما بَرَزَ الفَتَى الصَّغيرُ مِنْ داخِلِ الزَّهْرَةِ قائِلًا : « كُلُّ زَهْرَةٍ في هٰذا المَكانِ يَسْكُنُها رَجُلٌ صَغيرٌ جِدًّا أَوِ امْرَأَةٌ ، وَأَنا هُنا أَميرُ هٰؤُلاءِ الصِّغارِ . »

قالَتْ عُقْلَةُ الإصْبَعِ لِلطّائِرِ : « يا لَهُ مِنْ فَتًى وَسيمٍ ! » وَبَدَتْ عَلى الأَميرِ الصَّغيرِ دَلائِلُ الخَوْفِ مِنَ الطّائِرِ الَّذي كانَ يَبْدو عِمْلاقًا بِالنِّسْبَةِ إلَيْهِ . وَلٰكِنْ ما إنْ نَظَرَ إلى عُقْلَةِ الإصْبَعِ ثانِيَةً ، حَتّى انْشَرَحَ صَدْرُهُ ، وَابْتَهَجَ فُؤادُهُ ، فَقَدْ كانَتْ أَجْمَلَ فَتاةٍ وَقَعَ عَلَيْها نَظَرُهُ .

سَأَلَها : « ما اسْمُكِ ؟ » وَعِنْدَما أَخْبَرَتْهُ قالَ لَها : « سَوْفَ أَجْعَلُكِ أَميرَةً

عَلى كُلِّ الأَزْهارِ . هَلْ تَقْبَلينَ أَنْ تَكوني زَوْجَتي ؟ »

صاحَتْ عُقْلَةُ الإصْبَعِ قائِلَةً : « نَعَمْ ! نَعَمْ ! » عِنْدَئِذٍ خَرَجَ مِنَ الأَزْهارِ المُحيطَةِ بِهِما عَدَدٌ كَبيرٌ مِنَ الصِّغارِ ، وَأَخَذَ الجَميعُ يَرْقُصونَ في فَرَحٍ وَسَعادَةٍ .

قالَ الأَميرُ لِعُقْلَةِ الإصْبَعِ : « عُقْلَةُ الإصْبَعِ اسْمٌ غَيْرُ جَديرٍ بِكِ . أَنْتِ أَجْمَلُ مِنْ أَنْ تُسَمَّيْ بِهٰذا الاسْمِ . سَوْفَ نَدْعوكِ مِنَ الآنَ فَصاعِدًا .. مايا . »

وَعاشَتْ مايا وَالأَميرُ في سَعادَةٍ .



الحكايات اللطيفة

١ - حكايات من ألف ليلة وليلة
٢ - البطة الصغيرة القبيحة وقصص أخرى
٣ - الجواد الأسود الشجاع
٤ - حكايات من تاريخ العرب
٥ - الصندوق العجيب وقصص أخرى
٦ - الحذاء السحري وقصص أخرى
٧ - أليس في بلاد العجائب
٨ - حورية النار وقصص أخرى
٩ - أولاد الغابة



مكتبة لبنان
ساحة رياض الصلح - بيروت
رقم مرجع كمبيوتر 01 C 198 602


ARAB COMICS
عرب كوميكس
AC
www.arabcomics.net